جامعة عمار ثليجي الاغواط

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

العمارة الاسلامية في الأندلس خلال العهد الأموي (138- 366هـ/ 755- 983م)

مسجد قرطبة أنموذجا

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ وسيط

إعداد الطالبة:

بشرى جداوي

إشراف الأستاذ:

بومدين كعبوش

السنـــــــة الجامعية

1437- 1438هـ/ 2016- 2017م

بسم الله الرحمن الرحیم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. والشكر لله عز وجل الذي رزقنا من العلم ما لم نكن نعلم وأعطانا من القوة والمقدرة ما احتجناه لإتمام هذا العمل المتواضع.

ومن تما الشكر أن نشكر لأهل الفضل فضلهم وجهدهم.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أهدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له"

يسرني أن اتوجه بجزيل الشكر إلى الأستاذ بومدين كعبوش المشرف على هذا العمل المتواضع فجزاه الله كل خير.

والشكر موصول إلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة عمار ثليجي بالأغواط

كما أتقدم بشكري لكل من ساهم معي من قريب أو بعيد في اعداد مذكرتي

شكرا لكم جميعا

بشرى

إلى روح من تمنيت أن تشهد إنجاز هذه المذكرة

والدتي تغمدها الله بواسع رحمته وأسكنها فسيح جناته

إلى من أحمل اسمه بكل فخر

والدي طاب لي ذخرا و أطال الله في عمره

إلى عنوان الأخوة الصادقة

إخوتي واخواتي رعاهم الله

إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء

أصدقائي وصديقاتي وفقهم الله لكل خير

إلى من علمني حرفا من أساتذتي عرفانا بالجميل

إلى كل من قدموا أنفسهم في سبيل رفع راية الاسلام

بشرى

قائمة المختصرات

ص	صفحة
ت	توفي
ج	جزء
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة

تختلف الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس اختلافا بينا عن غيرها من حضارات البلاد التي أخضعها الإسلام إلى سلطانه، وكان المغرب والأندلس يؤلفان جزءا منفصلا عن بقية العالم الإسلامي لبعدهما الشاسع وعزلتهما عنه نتيجة للانفصال السياسي الذي حدث على إثر سقوط الدولة الأموية بالمشرق وقيام الدولة العباسية، وقد استطاع عبد الرحمن الداخل أحد أمراء بني أمية بفضل ما أوتي من حكمة وعزم أن يؤسس ملكا بعد فنائه، إذ اقتحم جزيرة شاسعة المحل، نائية المطمع، عصية الجند، فاستمال قلوب رعيتها بحسن سياسته، وقمع بعضهم بقوة حيلته، فرسى فيها على مكانة الأمير وما كاد يستقر ويستقيم الأمر لعبد الرحمن الداخل بقرطبة حتى بني بها المسجد الجامع والقصر، ومنذ ذلك العهد بدأ فن العمارة يلتمس طريقه في الأبنية الدينية والمدنية بشبه الجزيرة الأيبيرية، وبحكم بعده عن دمشق مسقط رأسه وحنينه الى أرضه حنينا متواصلا نقل الأمير الداخل مميزات العمارة الإسلامية المشرقية بكل تفاصيلها الى بلاد الأندلس ومنذ ذلك نبت الفن الإسلامي بالأندلس، وما لبث أن ترعرع حتى وصل إلى ذروة نضارته في حكم خلفاء الداخل من الأمويين وصولا إلى العصور المتأخرة من الحكم الإسلامي لبلاد الأندلس.

كما أن موقع الأندلس الجغرافي الذي يقع في الأطراف الغربية للعالم الإسلامي والذي يجاور الغرب المسيحي، قد جعلها موطن احتكاك أي تأثير وتأثر، وهذا انعكس على الجانب العمراني والرقي المعماري بها.

ومن خلال هذا يمكننا طرح الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة على الشكل التالي:

ما هي أهم مظاهر الفن العمراني والرقي المعماري الإسلامي في بلاد الأندلس خلال حكام بني أمية من عهد الأمير عبد الرحمن الداخل إلى عهد الخليفة هشام الثاني.؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية العديد من الإشكاليات الفرعية نذكر منها:

-من هو عبد الرحمن الداخل؟ وكيف استقدم الى الأندلس خضعت الأندلس لسلطانه؟

-ما امتداد عهدي الخلافة والإمارة الأموية بالأندلس (زمنيا ومكانيا)؟

-ما هي أنواع العمارة الإسلامية بالأندلس خلال العهد الأموي؟

-أين تجلت مظاهر العمران الإسلامي بالأندلس خلال العهد الأموي؟

-متى تأسس المسجد الجامع بقرطبة؟

-ما هي أهم مميزاته المعمارية والزخرفية؟

-إلى من تنسب الزيادات العمرانية فيه؟

-ما هو تأثيره على عمارة المساجد بالمغرب والأندلس عامة؟

الإطار الزماني والمكاني:

المكاني: بلاد الأندلس (شبه جزيرة أيبيرية).

الزماني: العهد الأموي بالأندلس من (138هـ-366هـ/755م-983م).

المنهج المتبع في الدراسة:

إن طبيعة الموضوع الذي يتناول مظاهر العمارة الإسلامية ببلاد الأندلس والتطرق إلى أهم مميزاتها فرض علينا اتباع المناهج التالية:

-المنهج التاريخي: تطرقت فيه لمختلف المراحل التي مرت بها الأندلس خلال أمراء بني أمية.

-**المنهج الوصفي التحليلي:** والذي اعتمدت فيه على جمع الوثائق والمعلومات التاريخية و المعمارية ثم دراستها وتحليلها، ومواصفات المخلفات العمرانية المعمارية.

أهداف البحث: تنحصر أهداف البحث في النقاط التالية:

-محاولة التعرف أكثر على المحطات التاريخية التي مرت بها الأندلس خلال عهدي الخلافة والإمارة الأموية بالأندلس.

-إبراز أهم المظاهر العمرانية بالأندلس خلال عهد خلفاء بني أمية.

-تقديم معلومات وميزات المسجد الجامع بقرطبة المعمارية بطريقة بسيطة ومختصرة.

دواعي إختيار الموضوع:

-تسليط الأضواء على حضارتنا وتاريخنا الإسلامي في الأندلس (الفردوس الاسلامي المفقود).

-الميول الى الجانب العمراني المعماري.

-رغبة في حصر هذه المرحلة الزمنية والإحاطة بمحطاتها التاريخية.

-محاولة مني في المساهمة في إضافة مجهود علمي تاريخي و عمراني يصف المظاهر العمرانية للأندلس خلال العهد الأموي.

-رغبة مني في فتح آفاق جديدة حول دراسة التاريخ العمراني للشعوب والدول الإسلامية السابقة.

-ابراز مكانة المسجد الجامع بقرطبة وكيفية تأثر المساجد الجامعة بالمغرب والأندلس به.

وللاجابة عن الاشكالية السابقة ارتأيت **للخطة التالية:**

قسم عملي هذا إلى مقدمة ومدخل تمهيدي تناولت فيه شرح مصطلح الأندلس وتكلمت عن جغرافية شبه الجزيرة الأيبيرية، ونبذة تاريخية وجغرافية لمدينة قرطبة لكونها حاضرة الأندلس خلال عهدي الإمارة والخلافة، وثلاثة فصول.

حيث الفصل الأول تناولت فيه: أطوار الحكم الأموي للأندلس ابتدأتها بلمحة عن الحكم في قرطبة خلال عصر الولاة ثم عصر الإمارة القرطبية ثم الخلافة بها ومراحل كل منهما التاريخية، أما الفصل الثاني تناولت فيه العمارة الإسلامية بالأندلس خلال العهد الأموي، وقسمته إلى ثلاثة مباحث عمارة مدنية وعمارة دينية وعمارة حربية وتناولت في كل مبحث منها عناصر العمارة ومميزاتها.

أما الفصل الثالث والأخير فجعلته دراسة نموذجية للمسجد الجامع بقرطبة وتناولت فيه تأسيس المساجد وبناؤه ومميزات المسجد المعمارية والزخرفية، ثم تطرقت للتوسعات التي

خضع لها المسجد الجامع خلال العهد الأموي وأخيرا عرجت على تأثير مسجد قرطبة الجامع على تصاميم المساجد الجامعة بالمغرب والأندلس.

وأخيرا جاءت الخاتمة التي احتوت نتائج عامة للموضوع.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

القرآن الكريم.

1-المعجمات اللغوية: تعد كتب المعجمات من الكتب القيمة والغنية بشرح كلمات وتفسيرها على وفق السياقات التي وردت فيها، فقد أفادتني تلك المعجمات في تعريف الكلمات المبهمة وتفسير الأبيات الشعرية والنصوص التاريخية، ككتاب ابن سيدة (المخصص)، وكتاب ابن منظور (لسان العرب) وكتاب مرتضى الزبيدي (تاج العروس)، وكتاب (العين) للفراهيدي، و (القاموس المحيط) للفيروزأبادي.

2-كتب الأنساب: منها كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم والذي أفادني في معرفة أنساب القبائل الداخلة للأندلس ومقر استقرارها وتزويدنا بمعلومات عن أنساب القبائل والحكام الأندلسيين.

3-كتب البلدان: وهي كتب كثيرة واستفدت من كتابي:

-كتاب (نزهة المشتاق) لأبي عبد الله بن ادريس العلوي (ت 560هـ) ويعد من أحد الكتب المهمة فقد زودني بمعلومات وعدة وأوصاف عن المدن ومن بناها، فضلا عن تعاريف المدن المستخدمة في الهوامش.

-كتاب (الروض المعطار)، لأبي عبد الله بن منعم حميري (ت 886هـ).

4-كتب التاريخ:

لقد استخدمت في مذكرتي عددا من كتب التاريخ العام التي أفادتني في معرفة الحوادث التاريخية:

ككتاب: تاريخ الرسل والملوك للطبري (المتوفي سنة 310هـ) الذي استفدت منه في بعض التعاريف لعدد من حكام الأندلس.

أما كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر: لابن خلدون (المتوفي سنة 808هـ) فهو يعد موسوعة شاملة، لاسيما الجزء الرابع المخصص بالأندلس، فقد ذكر تفاصيل عن الزهراء، وقنطرة قرطبة... الذي استخدمه في الفصل الثاني، فضلا عن ذكر أحداث تاريخية أخرى مهمة، اغنتني كثيرا.

أما كتب تاريخ الأندلس فهي كثيرة منها:

-كتاب افتتاح الأندلس لابن القوطية (المتوفي سنة 363هـ) يعد من المصادر التاريخية الموثوقة، لأنه كان معاصرا للأحداث التاريخية.

-كتاب ترصيع الأخبار ل العذري (المتوفي سنة 478هـ) له أهمية خاصة لأن المؤلف كان شاهد عيان ومعاصرا للأحداث، وله مشاهداته الجغرافية التي ساعدتني على التعرف على أسماء الجوامع والمساجد.....

-أما كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذراي (المتوفي سنة 712هـ) الذي يعد أهم المصادر التاريخية الأندلسية فلا يخلو أي فصل منه، لأنه يختص بذكر حوادث عمرانية وتاريخية مفصلة عن الأندلس ورجالاتها، ومساجدها وقصورها وحصونها وأسوارها تفصيلا وافيا.

-كتاب أعمال الاعلام لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب الغرناطي (المتوفي 776هـ)، فلا غنى عنه في مذكرتي على الرغم من أنه متأخر الفترة لكنه يلم بمعلومات يميزه عن غيره.

-كتاب نفح الطبيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري (المتوفي 1401هـ) اغنى بحثي هذا في فصل من فصوله كونه أخذ مادة معلوماته من مصادر موثوقة كابن حيان وابن بشكول، ويعد موسوعة شاملا للتاريخ والآداب والجغرافية.

أما أبرز المراجع الحديثة التي اعتمدتها في فصول المذكرة فهي:

-كتاب الفن الإسلامي للمستشرق الإسباني مانويل جوميث مورينو، ويعد شاهدا زار أغلب مدن الأندلس وذكر مواصفات العمارة فيها بكل تفاصيلها.

-كتاب الفن الإسلامي لجورج مارسيه: أيضا يعد من الكتب التي اهتمت بالعمارة الإسلامية، ومنها العمارة الأندلسية، بالرغم من أن معلوماته جاءت متطابقة مع معلومات مانويل مورينو.

-وقد استعملت كثيرا كتب السيد عبد العزيز سالم لأنه زار الأندلس، وذكر عمائرها المختلفة، ومن كتبه المستعملة:

-قرطبة حاضرة الخلافة بالأندلس.

-تاريخ المسلمين وآثارهم الباقية: فهو كتاب شامل وأغنى البحث بالمعلومات.

-تاريخ مدينة ألمرية: الذي أعطانا معلومات عن مسجدها وقصورها.....

فضلا عن عدد من المجلات والدراسات التي أغنت البحث وأفادته إفادة كثيرة انتفعت منها.

أما الصعوبات التي أعاقت البحث:

-اتباع المنهجية الجغرافية في تدوين الأحداث العمرانية، ابتداءا من الجزء الجنوبي في الأندلس صعودا إلى آخر جزء شمالي معتمد فيها.

-انعدام المصادر الأجنبية التي تناولت الموضوع.

-ثراء الموضوع بالمصادر والمراجع القيمة والتي أحدثت لنا اختلاف في المعلومات وعدم ضبط خاصة في التواريخ.

-لغة بعض المصادر والمراجع الأجنبية والتي تحتاج الى وقت أطول لدراستها.

وفي الأخير أرجو من الله أن يكون هذا العمل نافعاً و مفيداً للقراء وأن يتقبله الله مني.

فصل تمهيدي
الاندلس في العهد الأموي

أولا: التعريف بمصطلح الأندلس

ثانيا: لمحة تاريخية وجغرافية لمدينة قرطبة

مصطلح الأندلس:

بلفظ الأندلس فإننا نعني الجزء الذي ساده العرب من شبه الجزيرةالأيبرية لأن العرب عندما فتحوا الأندلس فتحوه إلى حيال ألبرت، ثم امتدوا يتراجعون شيئا فشيئا حتى إذا قامت الدولة الأموية سنة 138هـ/756م رغم عدم سيطرت العرب على الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة، واستمر لفظ الأندلس يطلق على ما بين المسلمين إلى أن اقتصر في النهاية على مملكة غرناطة في الركن الجنوبي، وهذا اللفظ مقرب جاء عن لفظ الوندال[1] وبهذا الاسم عرفه البربر الذين يقيمون على نحو الزقاق.

وشبه جزيرة ايبيريا اقليم واسع تصل مساحته إلى ستمائة ألف كيلومتر مربع، وهي عبارة عن هضبة متوسطة، ارتفاعها ستمائة متر عن سطح البحر وبها سلاسل جبلية يصل ارتفاعها إلى ألف وستمائة متر، وتعتبر جبال البرانس الحد بينها وبين بلاد غالية (فرنسا).

وكان بها أنهار معظمها يصب في المحيط الأطلسي وتتبع كلها من وسط شبه الجزيرة، ولا نجد الأنهار التي تحمل الماء الوفير إلا في النصف الشمالي منها: نهر المينو ونهر الدوير ونهر تاجة ونهر الواديانة أو(الوادي آنه) ونهر الوادي الكبير الذي تقع عليه قرطبة واشبيلية ومنه يتفرع نهر شنيل وعلى فرع من فروعه يسمى حُدارة تقع غرناطة.[2]

[1]– الذين يسمون في اللغة الاوروبية الفاندال أو الفاندلس، وهم قبائل متبربرين غزو شبه الجزيرة الايبيريةفي القرن 5م وانحدروا في الجنوب فدفعتهم قبائل جرمانية وهناك أقاموا زمنا طويلا ويسمى ذلك الطرف الجنوبي باسم فاندلسيا أو اندلوسيا.

[2] – حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والاندلس**، ط5، دار الرشاد، القاهرة، 2000، ص ص262–264.

لمحة تاريخية وجغرافية لمدينة قرطبة:

تقع مدينة قرطبة[1] على سفح جبل العروس، من جبال سيرامورنيا أو الجبال السوداء وتحتل سهلا فسيحا يقع بين هذه الجبال والوادي الكبير وفي هذا الوادي يزرع الزيتون ومختلف أنواع الثمار والأشجار، فكان نهر قرطبة وفقا لما جاء في المسهب للجماري، "مكتنفا بديباج المروج مطرزا بالأزهار، يمتدح في جنباته الأطيار وتنفر النواعير ويبسم النوار"، وتمتد عمارة قرطبة على الضفة اليمنى لهذا الوادي الذي ينحني مجراه انحناءة طفيفة نحو الغرب مؤلفا أهم طريق طبيعي في جنوبي اسبانيا، وتعتمد قرطبة في ثروتها على الزراعة، خاصة في سهلها الجنوبي المعروف بالكنبانية أو القنبانية، وأهم محاصيلها الزراعية الزيتون الذي تقوم عليه الكثير من الصناعات كاستخراج الزيت وزراعة الفواكه وعلى الأخص الرمان السفري.

كذلك تشتهر قرطبة بمعادنها الكثيرة وأهمها الفضة والزئبق، وحجر الشادنة، الذي يستخدم في التذهيب، كما كانت تكثر في جبالها مقاطع الرخام الأبيض الناصع والخمري اللون.

ومدينة قرطبة التي ذاع اسمها في العصور الوسطى، مدينة قديمة البناء يرجح أصلها الى ايبيريا، بالإضافة إلى أن اسمها محرف من كردوباCorduba، وهو اسم ايبيري بحت، يتشابه في مقاطعه مع اسماء بعض المدن التي ثبت أنها ايبيرية مثل: سلدوباSaldoba. وهو الاسم القديم الذي عرفت به سرقسطة.

وورد اسم قرطبة في الحرب البونية الثانية إبان الصراع بين روما وقرطاجنة، ثم دخلت سنة(206ق م) في فلك الامبراطوريةالرومانية وأصبحت منذ عام (169 ق م) عاصمة لإسبانيا السفلى المعروفة بـ باطقة.[2]

وازدهرت قرطبة في عصر الحاكم الروماني مركوس كلوديوسمرسيلوس الذي أشهرها بالأبنية الرائعة، والأسوار المنيعة التي اشتهرت بها العمارة الحربية الرومانية.

[1] – من ثاني أهم مدن الأندلس بعد طليطلة، تقع على نهر الواد الكبير وهي عاصمة الأمويين.

[2] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص270.

واتسعت قرطبة منذ ذلك الحين وأصبحت تعرف باسم Calonia Patricia لضخامة عمرانها وازدهارها بالأسر الرومانية النبيلة.

ثم انقسمت لشبه الجزيرة الجنوبية في عهد اغسطس قيصر إلى إقليمين: شدانيةوباطقة، واتخذت قرطبة عاصمة لإقليم باطقة، وعندما غدا الوندالوالسلاف والآلان شبه جزيرة أيبيريا عام 409هـ/ استولى الوندال على اقليم باطقة، أما قرطبة فضلت خاضعة للبزنطيين إلى نجح ليوفنخلد في الاستيلاء عليها سنة 568م وجعلها مركزا أسقفيا، ثم أخذت قرطبة تفقد شيئا فشيئا من أهميتها أما طليطلة التي تفوقت عليها منذ أواخر القرن السابع حتى طليعة القرن الثامن الميلادي عندما افتتحها المسلمون سنة 712م.[1]

[1] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص271.

الفصل الأول
أطوار الحكم الأموي في الأندلس

المبحث الأول: تاريخ قرطبة قبيل قيام دولة بني أمية (عصر الامارة)

المبحث الثاني: الإمارة القرطبية

المبحث الثالث: الخلافة القرطبية

تميزت الدولة الأموية في الأندلس بنشاط سياسي وثقافي وتجاري وعمراني ملحوظ، حيث أصبحت قرطبة أكثر مدن العالم اتساعا بحلول عام 323هـ/ 935م، كما شهدت تشييد الكثير من روائع العمارة الاسلامية في الأندلس ومنها الجامع الكبير في قرطبة، كما شهدت فترة حكم الأمويين نهضة في التعليم العام، جعلت عامة الشعب يجيدون القراءة والكتابة في الوقت الذي كان فيه شعوب أوروبا لا يستطيعون ذلك.

المبحث الأول: تاريخ قرطبة قبيل قيام دولة بني أمية (عصر الامارة)،

أولا: قرطبة حاضرة الأندلس

قبل أن يقفل موسى بن نصير عائدا إلى المشرق استخلف ابنه عبد العزيز بن موسى في ذي الحجة سنة 95هـ/ 619م، واختار له مدينة اشبيلية قاعدة لولايته.[1] ويرجع اختيار موسى بن نصير لإشبيلية لأنها مدينة عظيمة تقع على الضفة اليمنى من نهر الوادي الكبير قرب مصيبة، في خليج عميق يهيئها لأن تكون ميناءا جريا من الدرجة الأولى في جنوبي الأندلس، بالإضافة إلى هذا لحصانة أسوارها ومناعتها، ولأنها ترتبط في بسائر مدن الأندلس الأخرى وببلاد المغرب قاعدة الجيوش الإسلامية في حالة قيام الأندلس بالثورات. ولكن اشبيلية لم تتمتع بهذا المركز الأول إلى أربع سنوات فقد حول ايوب بن حبيب اللخمي العاصمة إلى قرطبة في أول عام 99هـ على أثر مقتل عبد العزيز موسى بمسجد ربينة المشرف على مرج اشبيلية في عقب سنة 98.[2]

نزل أيوب بن حبيب بقصر قرطبة أو البلاط الذي كان قد اختطه مغيث الرومي لنفسه بعد افتتاحه مدينة قرطبة، وكانت هذه النواة الرئيسية لقيام ربض بالجانب الغربي من قرطبة عرف فيما بعد بربض بلاط مغيث.

[1]– ابن عذارى، **البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب**، نشره الاستاذان لي بروفنسال وكولان ليدن، 1951م، طبعة بيرون عندوزي، بيروت 1950 في جزئيين، والجزء الثالث نشره ليفي بروفنسال 1930 ج2– ص30.

[2] – ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، نشره دون جوليان مدريد 1926، ص11.

والواقع أن مدينة قرطبة كانت جديرة بالاختيار كعاصمة للأندلس بعد أن تم للمسلمين في ولاية عبد العزيز فتح اقليمي غرب وشرق الأندلس، فقد بادر عبد العزيز من تولّيه الإمارة باستكمال فتح غرب الأندلس، وعلى هذا الأساس لم تعد الأسباب التي من أجلها اختيرت اشبيلية قائمة، بل أن اختيار مدينة متوسطة بين الساحل والداخل بات ضرورة لازمة بعد أن ثبتت أقدام المسلمين في الأندلس، وأصبحت اشبيلية بحكم موقعها المتطرف لا تصلح لهذا الغرض، ومع ذلك فقد تناولت قرطبة واشبيلية المركز الأول في الأندلس طوال الحكم الإسلامي من قبل محمد بن يزيد عامل افريقية أقر هذا الاختيار وانتقلت العاصمة الأندلسية رسميا من اشبيلية إلى قرطبة على يديه ومدد ذلك الحين ظلت قرطبة تحتل المرتبة الأولى بين مدن الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية.[1]

ثانيا: النزاع بين العرب والبربر

تحرَّج موقف العرب في بلاد المغرب عند قيام خوارج البربر بقيادة ميسرة المدغري بالثورة على العرب، وتغلبهم عليهم بالقرب من طنجة في الوقعة المعروفة بغزوة الأشراف، فاضطر الخليفة هشام بن عبد الملك إلى ارسال جيش ضخم لمحاربة البربر مدته 27 الفا من الشاميين، انضم إليهم ثلاثة آلاف من مصر فأصبح مجموع القوة التي أرسلها ثلاثين ألفا، وقدم عليهم كلثوم بن عياض القشيري، وانضم إلى هؤلاء الشاميين حشود العرب البلديين في المغرب بقيادة حبيب بن أبي عبدة، فأصبح عدد أجناد العرب نحو من سبعين ألف مقاتل بين فارس وراجل.[2]

ولكن هذا الجيش على كثرته لم يتمكن من الصمود أمام حشود البربر عند أول لقاء، وانتهى بهزيمة نكراء مني بها العرب في موقعة حدثت على وادي سبو عند بليدة بقدورة في سنة 124هـ، قتل فيهم عدد عظيم وعلى رأسهم أمير الجيش كلثوم بن عياض والقائد حبيب بن

[1] – ابن عذارى، المصدر السابق، ص33.

[2] – السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)** مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، ص154.

أبي عبدة، ولم ينجوا من كبار قواد المسلمين سوى يلج بن بشر القشيري ومعه عشرة آلاف من الشاميين، لاذوا إلى مدينة سبتة وتحصنوا بداخل أسوارها، وحاصرهم البربر حصارا طويلا حتى أشرفوا على الهلاك، واضطر بلج بن بشر إلى الاستنجاد بعبد الملك بن قطن المهري والي الأندلس في قرطبة (121-125هـ) واستأذنه في العبور إليها هو وأصحابه، فتقاعس ابن قطن عن نجدتهم ومديد العون إليهم لخوفه منهم على سلطانه، ثم إنه كان فهريا من حرب الحجاز، شهد في شبابه وقعة الحُرَّة، غير أن حادثا وقع في هذه الأثناء غير المواقف تغييرا تاما لصالح الشاميين، فقد ثار بربر الأندلس بقيادة زعيم لهم اسمه ابن هدين، ويقال له زقطرتق.[1] تضامنا منهم مع بربر المغرب، فطردوا عرب جليقيةواسترقة من شمال الأندلس وقتلوهم في آفاق البلاد وقدمت فلول العرب إلى قرطبة وبدا وضع العرب حرجا للغاية، وخاف ابن قطن أ، يتحول مصير عرب الأندلس وينتهي إلى مثل ما انتهى إليه مصير عرب المغرب، وارغمته هذه الظروف الجديدة على مديده إلى جند الشاميين المحصورين في سبتة، والاستعانة بهم للقضاء يدا واحدة على خطر الثورة البربرية في الأندلس، فأرسل إليهم السفن والأقوات للعبور على الأندلس واشترط إليهم أن يعودوا إلى سبتة بعد انقضاء مهمتهم، فلم يترددوا في قبول ما اشترطه عليهم وإمعانا في احترازه منهم أخذ منهم ابن قطن بعض الرهائن ضمانا لتنفيذ شروطه، وانزل هؤلاء الرهائن بجزيرة أم حكيم.[2]

أما البربر فقد أقبلوا في حشود هائلة من جليقية واسترقة وماردة وقورية وطليرة متجهين نحو قرطبة، واشتبكوا مع العرب الشاميين والأندلسيين مجتمعين في حوز طليطلة على وادي سليط، فدارت عليهم الدائرة، ومزق العرب صفوفهم، واذرعوا فيهم القتل، واطفأوا بذلك جمرة نقمتهم عليهم وبذلك الانتصار الذي احرزه العرب انتهت مهمة بلج بن بشر ورفاقه الشاميين في الأندلس وفقا للاتفاق الذي عقده ابن قطن معهم وقد جند الشاميين إلى قرطبة حيث

[1] – مجهول، **اخبار مجموعة في أخبار الأندلس**، نشره دون الفونتي الكنترا، في مجموعة اوبرالس ارابيقاس مدريد 1867، ص39.

[2] – السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص157-158.

طالبهم ابن قطن بتنفيذ الشطر الآخر من الاتفاق والوفاء بالتزامهم معه ولكن بلج ورجاله لم يرضوا بترك الأندلس وخيراتها والعودة إلى افريقية أو المغرب حيث تنتظرهم سيوف البربر، فأخذ الشاميون يبحثون عن ذريعة للبقاء في الأندلس، فلما ألح عليهم ابن قطن في الرحيل إلى المغرب من الجزيرة الخضراء، طلبوا منه أن يتم الابحار من ناحية تدمير حتى يتكنوا من النزول بارض قريبة من القيروان، وأصر ابن قطن على موقفه وفي هذ الأثناء كان الشاميون يخططون في قرطبة انقلابا عسكريا ضده، ولم تكن تعوزهم القوة على تنفيذ هذا الانقلاب، وتم الانقلاب بسرعة مذهلة وبصورة مفاجئة إذ وثبوا بابن قطن في أول ذي القعدة سنة 125هـ، وخلعوه من الإمارة وأخرجوه من القصر وأقاموا على أنفسهم بلج بن بشير وبايعوا له في قصر قرطبة.[1] أما ابن قطن فترك داره وهي التي يقال لها دار ايوب، ونتج عن ذلك الانقلاب أن ساد الاضطراب قرطبة واختلط أعز الناس في الاندلس، وفي غمرة هذه الفوضى أمسك والي الجزيرة الخضراء عن امداد الرهائن الشاميين بالطعام والشراب، فمات منهم رجل غساني من أشراف الشام، فاتَّهم عرب الشام ابن قطن وثار عرب اليمن لموت الغساني وطالبوا بلجأ فإن لم يسلم لهم ابن قطن ليقتلوه، فحاول بلج أن يردهم عن ذلك عبثا فخاف أن تتفرق كلمتهم، وأمر بإخراج ابن قطن من داره فأخرجوه وهو شيخ هرم تجاوز التسعين وهم ينادونه: "يا فال!! فللت من يسرقنا يوم الحُرَّة، ثم عرضتنا اكل الكلاب والجلود طلبا بثأر الحُرَّة، ثم بعث جند أمير المؤمنين"، ثم قتلوه عند رأس القنطرة وصلبوه، وصلبوا خنزيرا عن يمينه وكلبا عن شماله.[2]

ثالثا: قرطبة مركز الصراع بين اليمنية والمُضرية

أثار مصرع ابن قطن الاحقاد الدفينة في نفوس المضريين والقيسيين من اليمنيين، ونبش ما كان كامنا في النفوس من خلافات ونزاعات عصبية، فتحالف العرب البلديون بقيادة قطن وامية ابني عبد الملك بن قطن المقتول مع البربر المغلوبين الذين كانوا يتلهفون

[1] – مجهول، أخبار مجموعة، مصدر سابق، ص41.

[2] – ابن عداري، مصدر سابق، ص45.

لاشباع شهوة الانتقام من الشاميين وتضامنا على مناهضة بلج وحبذه، وانضم إلى هذا الحلف عبد الرحمن ابن علقمة اللخمي عامل عبد الملك في أربونة ومعه جيوشه المرابطة في سبتمانيا،[1] وتم الاشتباك الحربي في موضع يقال له أقوة برطورة يقع على بعد بريدين من قرطبة، واحتدمت نار الحرب إلى أن انتهى الأمر بهزيمة البلديين والبربر، واصيب يلج في هذه المعركة ولم يلبث أن توفي فخلفه ثعلبة ابن سلامة العاملي على الامارة في قرطبة ولما بلغ الخليفة هشام بن عبد الملك ما أصاب البلديين على ايدي الشاميين فأقام على الاندلس أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبي، ليضع حدا للفتنة التي اضطرمت نارها في قرطبة.[2]

وقد شرع عهده بإزالة اسباب الفتنة من قرطبة فأمر باخراج ثعلبة واصحابه من الاندلس فاستقامت الامور في الحاضرة واطمئن الناس الى معاشهم، ثم رأى أن يوزع الاجناد الشاميين على كور الاندلس حتى يأمن الناس شرهم ويقضي بذلك على مصدر الفتنة والنزاع ورغم هذه البداية الطيبة لأبو الخطار فلم يلبث أن جرفه تيار العصبية وانحرف عن طريق الانصاف، فحدث أن شكاه يمني على مضري فجار في الحكم مدفوعا في عصبيته، فلجأ المضري إلى الصميل بن حاتم بن ذي الجوشن رئيس المضرية في الأندلس، وقي حين اقبال الصميل إلى قصر الامارة لمناقشة ابا الخطار في الأمر ولتسوية القضية ولكن وبدل حسن استقباله من طرف أبا الاخطار بادر بإهانة الصميل وكان ذلك في الصرف هو الشرارة الأولى التي استعلت نيران الحرب بين النميمة بزعامة أبي الخطار والحضرية بزعامة الصميل، والتي انتهت بهزيمة ابي الخطار ووقوعه في أسر الصميل، ثم أقيم ثوابة بن سلامة العاملي واليا على الاندلس بتدبير من الصميل في رجب سنة (128هـ/ 745م) ودخل ثوابة قصر قرطبة ومعه ابو الخطار في قيوده.[3]

[1] – مجهول، اخبار مجموعة، مصدر سابق، ص43.

[2] – السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، ج2، العصر الاسلامي الاسكندرية 1966، ص160.

[3] – مجهول، أخبار مجموعة، مصدر سابق، ص57.

ثم توفي ثوابة بعد عام من ولايته، فعمل الصميل على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وكان طاعنا في السن، ضعيف الإدارة مما سهل على الصميل أن يصبح الموجه الحقيقي للسياسة الأندلسية، ولكن يحي بن حريث الجذامي ظهر من الجند داعيا لنفسه، وعندئذ تم الاتفاق على ان يستأثر يوسف الفهري بولاية الأندلس في حين ترك كورة رية ليحي بن حريث، وفي هذه اللحظات المضطربة نجح أحد القضاعيين من اليمنية من اقتحام قصر قرطبة بالقوة واخرج ابا الخطار من سجن القصر وعلى رغم خلاص أبي الخطار من أسره فقد استقام أمر اليمنية والمضرية ليوسف الفهري، ولكنه لم يلبث أن نكت باتفاقه مع يحي بن حريث وعزله عن نورة رية فغضب ابن حريت وكان ذلك نذيرا بقيام الحرب من جديد بين العصبتين اليمنية والمضرية ورأت قضاعة أن تخضع لإجماع اليمينة على الدعوة لابن حريت متضامنا مع أبي الخطار واصفقت له يمن الاندلس من حِمْيرها وكندتها وقضاعتها ... بينما انطوت مضر ربيعة تحت لواء يوسف والصميل، ثم زحفت جموع اليمنية بقيادة ابن حريث وابي الخطار نحو قرطبة، ونزلت على نهر قرطبة بقرية شقندة، وعبرت المضرية الوادي[1] واشتبك الفريقان في قتال عنيف دام معظم اليوم، ويصيفه ابن عذارى في قوله: " فما نسمع إلا صهيلا وصليلا، ولا ترى إلا قتيلا، حتى تكسرت الخطيات، وتفككت المشرفيات والتفت الساق بالساق وارتطمت الاعناق إلى الاعناق، فلم يعهد حرب مثلها في المسلمين بعد حرب الجبل وصفين، وانهك القتال قوى الفريقين، ولم يستطع احدهما التغلب على الآخر فاستقدم الصميل أهل السوق بقرطبة لنجدته، فقدم إلى منهم ما يقرب من اربعمائة ولم يكن باستطاعة اليمنية الصمود أمام هذه القوة الجديدة فانهزموا وقبض على ابن حريث وابي الخطار فقتلا، واصبح للصميل بعد هذه الواقعة صاحب السلطان الفعلي في قرطبة، فكانت له الرئاسة والتدبير بينما لم يكن ليوسف الفهري سوى الاسم.[2]

ثم اجتاحت الاندلس من سنة 151هـ/770م مجاعة كبيرة لم يفلت من شرها سوى مدينة سرقسطة قاعدة الثغر، وكان هذا الاقليم بمزارعه وخيراته اقصر حالا من غيره، وكان معظم

[1] – مجهول، مصدر سابق، ص58.

[2] – ابن عذارى، مصدر سابق، ص53.

أهاليه من اليمنين الذين اعتزلوا الفتنة، فعمل يوسف الفهري على إذلالهم بوال قيسي متعصب لقيسيتيه هو الصميل بن حاتم، أقامه على ولاية سرقسطة سنة 132هـ، وذلك لعامين أولهما أنه بذلك يستطيع اشباع شهوة انتقامه من اليمنية، والثاني أنه يتخلص من الصمين منافسه على السلطان في قرطبة، فتفطن الصميل لهذه الخطة فلم يتصعب ضد أهل سرقسطة بل عمل على اكتساب ثقتهم فيه ومحبتهم له.[1]

أما يوسف الفهري فقد انفرد بالسلطان في قرطبة ونول ببلاط الحر بن عبد الرحمن الثقفي ولكن ما لبث أن ظهر له منافس آخر قوي هو عامر بن هشام القرشي الذي كاتب ابي جعفر المنصور وسأله أن يبعث إليه بسجل الولاية: وأخذ يعد للوثوب على يوسف لخطته دبر مكيدة لقتله بالاتفاق مع الصميل، فقد عامر القربي إلى قومه اليمنيين بسرقسطة، فآزره اليمنيون، وحاصروا الصميل بسرقسطة حصارا امتد إلى سبعة أشهر فبعث اليمنيون يستنجد قومه من القيسينوالمضريين فلبوا نداءه، واشترك معهم جماعة من موالي بني أمية في الأندلس على رأسهم أبو عثمان عبيد الله ابن عثمان وعبد الله بن خالد، ولم يكن هدف هؤلاء انقاذ الصميل بقدر ما كانوا يهيؤون الطريق لإدخال أميرهم عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس.[2]

ويذكر المقري نقلا عن بعض المؤرخين أنه: " لما تمهد ملكه شرع في تعظيم قرطبة، فجدد مغانيها وشيد مبانيها، وحصنها بالسور، وابتنى قصر الامارة والمسجد والجامع ووسع قتائه واصلح مساجد الكور، ثم ابتنى مدينة الرصافة منتزها له، واتخذ بها قصرا حسنا وجنان واسعة، نقل إليها غرائب الغرس، وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار"، وفي موضع آخر يقول:" ان عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره، وعظم بنى القصر بقرطبة، وبنى

[1] – السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، ج2، مرجع سابق، ص165.

[2] – مجهول، اخبار مجموعة، ص63.

المسجد الجامع، وانفق عليه ثمانين ألف دينار، وبنى بقرطبة الرصافة تشبها برصافة جده هشام.[1]

وذكر الرازي أن عبد الرحمن الداخل عندما نزل الرصافة لأول مرة شاهد نخلة أهاجت شجيته، فتذكر وطنه الشامي فقال ببديهة:

تبدت لنا بين الرصافة نخلة *** تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى *** وطول ابتعادي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض انت فيها غريبة *** فمثلك في الاقصاء والمنتأ يمثلي

سقاك فؤادي المزن عن صوبها الذي *** يسح ويستمرد السماكين بالوبل

وهكذا طبع عبد الرحمن حضارة الأندلس بطابعه الشرقي، واليه يرجع الفضل في غرس بذورا نهضة علمية زاهرة بقرطبة، و تنمو هذه النهضة على مر الأيام حتى تصبح قرطبة في عهد أحد احفاده عاصمة الدنيا ومركز العلم والحضارة، وهو لذلك يعتبر أعظم أمراء بني أمية في الأندلس.[2]

[1] – السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، ج2، مرجع سابق، ص207.

[2] – ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص89.

المبحث الثاني: الامارة القرطبية

أولا: فرار عبد الرحمن بن معاوية إلى المغرب وجهود بني أمية لاستقدامه للأندلس

بعدما سجل العباسيين انتصارا على مروان بن محمد آخر الحلفاء الأمويين في موقعة الزاب في 11 جمادى الاخرة سنة 132هـ نهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية فأخذ العباسيون يتعقبون أمراء في أمية حيث كانوا ويقتلونهم، ولذلك تفرق بنو أمية في أطراف البلاد للنجاة من بطش العباسيين بهم،[1] وكان منهم عبد الواحد بن سليمان والضمر بن يزيد والاصبغ بن محمد بن سعيد الذي استأمنه أبو العباس السفاح مع بضعا وسبعين رجلا فقتلهم، وكان يحي بن معاوية بن هشام وأخوه عبد الرحمن بن معاوية ممن حاول الفرار فالأول أدركوه وقتلوه والثاني فر مسرعا حيث كان مقيما بالقرب من معسكر صالح بن علي بالقرب من معسكر صالح بن علي بالقرب من نهر أبي فطوس واندس بموضع ناء خارج القرية ومنها على شاطئ الفرات فقطعه ومنها استطاع الأمير عبد الرحمن بن معاوية الافلات من أيدي العباسيين رغم محاولاته ووصل سالما إلى كورة فلسطين وهناك التقى بغلامه بدر وبسالم أبي شجاع غلام شقيقه يحملان نفقة وشيئا من الجوهر وانطلق معهما من موضع إلى موضع وصولا إلى مصر، ثم سار منها إلى برقة، وبقي فيها مدة، ثم توغل في افريقية، وكان يلي افريقية والمغرب منذ أيام مروان بن محمد سنة 129هـ، عبد الرحمن بن حبيب الفهري من نسل عقبة بن نافع وبعد مقتل مروان بن محمد وسقوط الدولة الأموية استقل عبد الرحمن بن حبيب بولاية افريقية والمغرب وخرج عن طاعة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور والذي لاشك فيه أن عبد الرحمن بن حبيب كان يخاف على إمارة افريقية والمغرب من أمراء بني أمية، أصحاب الحسب والنسب، وسادة العرب وأشرافهم، الذين صاروا يتوافدون على بلاده لتطرفها عن مركز الخلافة العباسية.[2]

[1]– ابن عذاري، نفس المصدر السابق، ص59.

[2] – السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص177.

فصار يقتل كل من يدخل من بني أمية، وخاف من عبد الرحمن بن معاوية لنشاطه السياسي، وعمد إلى مطاردته والتخلص وكان عبد الرحمن في الواقع يهدف إلى تكوين إمارة أموية في بلاد المغرب والأندلس تكون استمرارا للدولة الأموية التي أسقطها العباسيون في المشرق، فقد كان شابا طموحا في العشرين من عمره يفيض حماسة وأمل في إحياء هذه الدولة في المغرب، وكان يدفعه إلى ذلك ويجدد عزمه ماز عمره من نبوءة مسلمة بن عبد الملك له وهو ابن عشر سنوات ولما علم ابن معاوية بما يكيده له عبد الرحمن بن حبيب ففر من القيروان إلى موضع يقال له باري فنزل قبيلة مكناسة حيث ناله بعض الضيق وقيل أنه نزل بمغيلة عند شيخ من رؤساء البربر الموالين لعبد العزيز بن مروان يدعى وانموس ويكنى أبا قرة.[1]

قاسها الشاب الطريد الشريد مرارة العيش في بلاد المغرب دون كلل، واحتمل الآلام دون ضعف واستلام، واستقر به المطاف أخيرا عن أخواله من قبيلة نفزة التي كانت تقيم من سبتة، وقيل بطرابلس، إذا كانت أمه بربرية من سبينفسه اسمها راح أو رداحا.وكانت الأندلس وقتئذ نموذج بالفوضى والاضطراب بسبب الفتن والعصبيات القبلية وهنا لاحت لعبد الرحمن بن معاوية بارقة من الأمل، فلا بد له وهو سليل خلفاء بني أمية العظام أن يجد لنفسه وسط هذا الصراع مجالا يجدد فيه دولة أجداده فشرع في استغلال هذا الموقف لمصلحته فبدأ من جديد محاولته التي أخفقت في المغرب.[2]

أقام عبد الرحمن عند أخواله النفزيين، وبقي معه مولاه بدر، ورأى الأمير أن يبادر بالاتصال بزعامة موالي بني أمية في الأندلس، فبعث مولاه بدرا إلى أبي عثمان عبيد الله ابن عثمان وأبي عبد الله بن خالد زعيمي حزب موالي بني أمية.

[1]– احمد بن محمد (المقري)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح، محي الدين عبد الحميد، ج1، القاهرة 1949، ص313.

[2]– السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص178.

وأرسلوا إليهما كتابا يشكو فيه ما ابتلوا به ويعظم عليهم حقه، وتروعه إليهم وما صنع به ابن حبيب وبقومه بإفريقية، ويعلمهم أنه إن دخل إلى يوسف لم يأمنه ويعرض أنه إنما يريد الاعتزاز بهم وأن يمنعوه وإن تهيأ لهم ما فيه طلب سلطان الأندلس أن يعلموا.[1]

نزل بدر بقرية طرش من ساحل البيرة في آخر سنة 136هـ/754م، وقصد أبا عثمان فبعث أبو عثمان لصهره عبد الله بن خالد ثم بعثا إلى يوسف بن بخت وكان من رجالهما، ويبدوا أن هذا الكتاب أحدث تأثيرا عميقا في نفوسهم فتناولوا الرأي مع غيرهم من موالي المروانية، واتضح لهم أن الأمر ورغم خطورته جدير بالمحاولة، واجتمعوا على اتصالات مع زعماء اليمنية وواتهم الفرصة إذ كان يوسف بتأهب وقتئذ للخروج في غزوة الذي خاطب من خلالها سادات العرب اليمنية المقيمين في عرب الأندلس مثل: أبو الصباح اليحصبي وعلقمة بن غياث اللخمي، وأبو علاقة الجذامي وزيادة بن عمرو الجذامي ثم خاطبوا رؤساء اليمنية في إلبيرة وجيان مثل جد بن اضحى، وبني حسان وبني عمر أصحاب وادي آش وميسرة وقحطبة الطائيين بجيان وخاطبوا الحصين بن الدجن العقيلي للتباعد الذي كان بينه وبين الصميل، فكان المضري الوحيد الذي أيد عبد الرحمن بن معاوية.

طلبوا من بدر أن يبلغ عبد الرحمن بأنهم أجابوه ملتمسة وإنهم ينتظرون مجيئه فعاد بدر إلى مولاه عبد الرحمن في سنة 137هـ ولكنه أجاب بقوله: "لسيد تطيب نفسي على دخول

الأندلس إلا أن يكون معي واحد منهم" فانصرف بدر إليهم بجوابه.[2]

فرأى زعماء الموالي ضرورة مشاورة الصميل وكان هذا سببا في فك الحصار عن الصميل في سرقسطة.

وبهذه المساهمة في فك حصاره فسيضمنون تؤييده لهم في قضية ابن معاوية، ثم اجتمع الأمويون الثلاثة مع الصميل واطلاعه بأمر ابن معاوية فإن الصميل كان حذرا فتريث بالإجابة ولابد أنه أدرك أن ابن معاوية كان يطمع في السلطان، وبعدها تمكنا من الانفراد

[1] – مجهول، **المصدر السابق**، ص67.

[2] – ابن القوطية، مصدر سابق، ص23.

بالصمل وهو ثمل فوعدها بالمساندة ولكنهما ما لبثا ينصرفان من حضرته حتى عاد إلى صوابه وعظم عليه الأمر، فقد رأى نفوذه يتلاشى حتما بدخول ابن معاوية الأندلس، فلحق بهما وقال لهما: "إني منذ اتيتموني برسول ابن معاوية وكتابه لم أول في إدارة، فاستحسنت ما دعوتما إليه، ثم كان مني إليكما ما كان، فلما فارقتكما، رويت فيه فوجدته من قوم لوبال أحدهم في هذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله وهذا رجل (يقصد يوسف الفهري) قد حكمنا عليه مع ماله في أعناقنا والله لو بلعتما بيوتكما ثم رأيتما هذا لظننت ألا أقصر حتى أرجع إليكما، لئلا أغيركما وأنا أعلمكما أن أول سيف يسئل عليه فسيفي، تبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما".

فانقطع رجاؤهما من مضر وربيعة، وعمدا على معاودة الاتصال بالمنية الذين كانوا يتلهفون للثأر من المضرية، فوجدا منهم ترحيبا بالغا واستعدادا لاستقبال الأمير الأموي وتعضيده.[1]

عاد الزعيمان الأمويان إلى جندهما، فابتاعا مركبا وجها فيه احدى عشر وجلا يرافقون بدرا منهم تمام بن علقمة الثقفي وابو فريعة، وأعطيا بدرا خمسمائة دينار للنفقة على ابن معاوية ولفدية البربر، وكان بدرا ما يزال مقيما عند أخواله النفزيين على ساحل سبتة وكان يمضيأيامه وبينما كان يؤدي صلاة المغرب إذ لمح مركبا مقبلا في اللج حتى رسي وخرج إليه بدر سابحا، فبشره بما تم له بالأندلس، ثم خرج إليه تمام بن علقمة من الغراب، فقال له عبد الرحمن: ما اسمك، قال: تمام وما كنيتك؟ قال: أبو غالب قال ابن معاوية ثم أمرنا وغلبنا عدونا، فاستحجبه لذلك فلم يزل حاجبا في أيامه حتى مات، ثم سأل بدرا عن أبي فريعة، فقال له: هذا مولاك أبو فريعة فقال: "افترعنا البلد إن شاء الله"، ثم ركب عبد الرحمن معهم البحر حتى أرسوا بثغر المنكب Almunecar في آخر ربيع الثاني سنة 138هـ/755م ودخل قصر الإمارة وأصبح أميرا للأندلس بغير منازع.[2]

[1]– ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص65.

[2] – ابن القوطية، مصدر سابق، ص24.

ثانيا: استقرار الداخل بالأندلس ومظاهر حضارته بها

شهدت الأندلس صراعا متواصلا بين الأمير الأموي وبين خصومه السياسيين والثائرين عليه من القيسية الموتورين، ومن اليمنية الذين انقلبوا عليه، ومن أنصار العباسيين الذين كانوا يسعون للقضاء عليه، ولكن عبد الرحمن الداخل انتصر على أعدائه ومناوئيه بفضل دهائه وقوة عزمه كما لقبه ألد خصومه أبو جعفر المنصور "بصقر قريش"

فقال فيه: "لاتعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة أسبابه، فالشأن في أمر فتى قريش الأخوذي الفذ في جميع شؤونه وعدمه لأهله ونسبه وتسليه عن جميع ذلك يبعد مرتقى همته ومضاء عزيمته، حتى قذف نفسه في لجح الهالك لابتناء مجده، فاقتحم جزيرة شاسعة المحل، نائية المطمع، عصيبة الجند، ضرب بين جندها بخصوصية، وقمع بعضهم بعضا بقوة حيلته واستمال قلوب رعيتها بقضية سياسته، حتى انقاد لهم عصيهم، ونال له أبيهم، فاستولى فيها على أريكته ملكا على قطيعته، قاهرا لأعدائه، حاميا لغماره، مانعا لحوزته، خالطا الرغبة إليه بالرغبة منه، إن ذلك لهو الفتى كل الفتى لا يكذب مادحه."[1]

ويرجع الفضل الأول في تمصير قرطبة وتجميلها، وتنظيم شؤون الإدارة والحكم فيها إلى الأمير عبد الرحمن الداخل، فقد كانت نظم الإدارة والحكم قبل قيام الدولة الأموية مضطربة مزعزعة بسبب اختلاف الولاة عليها من قبل أمراء إفريقية وبسبب النزاع القائم بين اليمنية والمضرية، فلما استقرت أركان دولة الداخل في قرطبة وتمهدت قواعد حكمه عمل على تمكين النظم الإدارية السائدة في المشرق الإسلامي في زمن الدولة الأموية البائدة، وتطبيقها تطبيقا عليما، وقد تم ذلك على نحو يثير الإعجاب، وسرعان ما ارتقت الأندلس من مجرد ولاية تابعة للخلافة الأموية إلى مصاف الدول الكبرى المستقلة.[2] ويشير ابن حيان إلى هذا التطور الكبير الذي طرأ على شؤون الإدارة ونظم الحكم في ظل عبد الرحمن الداخل بقوله: "لما ألفي الداخل الأندلس ثغرا قاصيا غفلا من حلية الملك، عاطلا، أرهف أهلها بالطاعة

[1] – السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص203.

[2] – المقري، مصدر سابق، ج1، ص198.

السلطانية، وحكمهم بالسيرة الملوكية، وأخذهم بالآداب وأقامهم على الطريقة وبدأ فدون الدواوين، ورفع الأواوين وفرض الأعطية وعقد الألوبة وجند الأجناد، ورفع العماد واوثق الأوتاد، فأقام للملك آلته، وأخذ السلطان عدته، فاعترف له بذلك أكابر الملوك، وحذروا جانبه وتحاموا حوزته، ولم يلبث أن دانت له الأندلس وانتقل له الأمر فيها".[1]

ويرجع الفضل في نجاح سياسته وتوطيد ملكه إلى وزرائه وحجابه الذين أحسن اختيارهم، وانتقائهم من بين من أدخلوه الأندلس وأيدوه ونصروه وأخلصوا له أمثال عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد ويوسف بن بخت وتمام بن علقمة وحسان بن مالك وقد عمل الداخل على إحاطة نفسه بهالة من فخامة الملوك وأبهة الخلفاء فزود حاضرته قرطبة بروائع المنشآت والعمائر، وقامت فيها حركة معمارية وعمرانية لم تشهد لها نظيرا من قبل، واتخذت قرطبة منذ ذلك الحين مظهر المدن الكبيرة، وأصبحت جديرة بأن تكون عاصمة بالإمارة الأموية.[2]

ثالثا: أمراء بني أمية بالاندلس بعد عبد الرحمان الداخل

1* عهد الأمير هشام الرضا (172-180هـ/789-796م)

كان عبد الرحمن قد عقد العهد لابنيه هشام وسليمان، وكان الأول عند وفاة أبيه بماردة، بينما كان سليمان بطليطلة، حيث أوصى ابنه عبد الله بأن يسلم خاتم الإمارة لمن يسبق في العودة إلى قرطبة، فلما علم هشام بوفاة أبيه أسرع بالعودة فوصل قبل وصول أخيه سليمان، فنزل بالرصافة ونفذ عبد الله وصية أبيه ودفع لهشام خاتم الخلافة وأدخله القصر، ولما علم سليمان حشد الحشود وجند الأجناد وبايعه أهل طليطلة وما جاورها، ثم زحف نحو قرطبة، والتقى مع أخيه هشام في جيان بجهة بلج فانهزم سليمان وعاد إلى طليطلة.[3]

وبعد سبعة أشهر من وفاة الداخل طمع أخيه عبد الله الملقب بالبلنسي في الإمارة وبالرغم من أن الأمير هشام كان يبره ويؤثره على بقية اخوته، لكنه خرج من قرطبة وانضم إلى أخيه

[1] - levi provençal,histoure de l'espagne musulmane 3 tomice lideme, 1950,1954, p116 .

[2] - المقري، مصدر سابق، ج2، ص15.

[3] - ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص91-92.

الثائر بطليطلة، وهنا غير هشام من سياسته اللينة، وخرج على رأس جيش في نفس السنة من توليه الحكم، لاستنزال أخويه وضرب حصارا لمدة شهرين على طليطلة غير أن أخاه سليمان فر منها إلى قرطبة فحاربه أهلها ففر منها إلى ماردة ومنها إلى تدمير وأقام بها أما عبد الله فاتجه إلى قرطبة ونزل بها.[1]

وتفرغ هشام لمحاربة أخيه سليمان فأرسل عليه جيشا يقوده شهيد ابن عيسى وتمام بن علقمة واضطر سليمان لطلب الأمان، فاشترط عليه الأمير الرحيل عن الأندلس فأعطاه ستين ألف دينار فنزل و أهله ببلاد المغرب، ثم اتبعه بأخيه عبد الله بعد أن عوضه مالا، وبعدها شرع في مواجهة العقبة الأخرى خصمه مطروح بن سليمان بن الأعرابي الذي أرسل له هشام قائده عبد الله بن عثمان، على رأس جيش لمحاربته فحاصر سرقسطة حتى ضج أهلها لذلك غير أن بعض أعوان مطروح قتلوه بطرطوشة وبادروا بدخول سرقسطة.[2]

أما الثورة الثالثة التي قامت في عهده كانت سنة 178هـ (759-796م) إذ ثار عليه بربر تاكرنا عن إقليم رندة، وخرجوا عن طاعته وهاجموا الاقليم كله وقتلوا عددا كبيرا من العرب، فأرسل لهم الأمير هشام جيشا ضخما، فهزمهم وفر من بقي منهم إلى طلبيرة (Talvera) وترجيلة (Trujllo).[3]

وكان ميل هشام إلى الورع والدين سببا من أسباب اقباله على الخير وإيثاره له كما كان سببا من أسباب قضائه سنين حكمه في الجهاد ضد النصارى في الشمال فأعلن الجهاد وكانت من معاركه أن عبأ جيشا سنة 175هـ/791م وجعل على رأسه قائده أبا عثمان عبيد بن عثمان وسيره إلى ألبه (Alava)والقلاع (Castilla la vieja)فمضى واصطدم بالنصارى فهزمهم هزيمة شنعاء وقتل منهم نحو تسعة آلاف، وفي العام نفسه خرج جيش آخر من قرطبة يقوده يوسف بن بخت وكان هدفه بلاد جليقيةوأشتوريس والتقى بجيش الملك برمود

[1] – السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**،ج2، مرجع سابق، ص214.

[2] – ابن عذارى، **المصدر السابق** ، ج2، ص94.

[3] – نفسه ، ج2، ص96.

الكبير Vermudol ملك اشتوريس على نهر بوربياburbia فهزمهم جيش يوسف وانهى المسلمون معسكرهم وقتل منهم ما يزيد عن عشرة آلاف.

وفي عام 176هـ/792م بعث هشام قائده ووزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فبلغ ألبه والقلاع فأثخن فيها نواحيها.

وفي العام التالي بعثه الأمير في جيش إلى أربونةوجرندة التي كانت قد سقطت في أيدي الفرنجة سنة 169هـ/785م، أما الصائفة التالية كانت أقل توفيقا ففي عام 178هـ/794م بعث جيشين في آن واحد أحدهما بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد وجهه إلى ألبه والقلاع والآخر بقيادة عبد الله بن عبد الواحد وكان هدفه أشتوريس ونجح عبد الكريم في التغلب على الجلالقة وانتهى إلى استرقة، أما عبد الملك فوصل إلى أبيط وأثخن في البلاد وفي أثناء عودته فوجئ بهجوم نصارى اشتوريس، وقامت معركة بينهما في بطيحة نال فيها النصارى من جيش عبد الملك.[1]

أراد عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث أن ينتقم لأخيه فخرج صائفة سنة 179هـ/795م متجها نحو استرقة واستولى عليها والتقى بألفونسو الثاني الذي كان محيما بالبشكنس واستعان عبد الكريم بأحد أكبر قواده وهو فرج بن كنانة ونجح فرج في هزيمة فرقة مسيحية في واد كرثية وبعد فرار الفونسو استولى عبد الكريم على حصن وادي نلون Nalon.[2]

وأهم ما حدث في عهد هشام في المجال الداخلي، دخول المذهب المالكي للأندلس، بعدما كان أهلها يتبعون مذهب الإمام الأوزاعي الشامي المتوفي سنة 157هـ/774م، وكان أول من أدخل مذهب مالك هو أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون الذي ذهب إلى المشرق بعد عام من تولية هشام بالامارة فأخذ عن مالك، وكان أول من أدخل موطأ مالك على الأندلس كاملا، فأخذه عنه الفقيه يحي بن يحي الليثي بعد أن أشار عليه بالرحيل والأخذ عن مالك وسماع الموطأ منه مادام حيا، فذهب وعندما عاد عمل

[1] - levi proencel,opcit pp113-143- .

[2] - ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص97.

على نشر المذهب المالكي في البلاد، وتولى الرئاسة في الفقه والقضاء، كما كان للفقهاء مكانة عظيمة في الأندلس في عهد هشام فقد قضى حياته خاضعا لحكمهم.[1]

وكان مصلحا محبا لبناء المساجد، وتعمير المباني ذات المنافع العامة، وهو الذي أكمل سقائف جامع قرطبة وأسس منارته القديمة –كما سنوضح لاحقا– وكانت قنطرة قرطبة قد انهدمت في حياة عبد الرحمن الداخل بسبب السيل، فنظر هشام في بنيانها واتفق في اصلاحها –كما سنوضح لاحقا– وكان يعطي الأجر للعمال بنفسه.[2]

2* عهد الحكم الربضي: (180–206هـ) (769–822م)

بويع أبو العاص الحكم بن هشام بعد وفاة أبيه بليلة واحدة يوم 8 صفر سنة 180هـ، وهو ابن 26 سنة، وكان أبوه قد عهد إليه بولاية العهد دون أكبر أبنائه عبد الملك، وبدأ عهده بمحاربة بعض أقربائه الطامعين في الإمارة، أولهم عماه سليمان وعبد الله اللذان نفيا في عهد ابيه إلى المغرب، فعند سماعهما بوفاة هشام وتولية ابنه الحكم أسرعا بالجواز إلى الأندلس فنزل سليمان بالثغر الأعلى لعلمه كراهية سكانه للأمير الجديد عند بهلول بن مرزوق الثائر على الأمير الحكم، وعندما باءت جهوده بعزل الحكم بالفشل، رحل مع ولديه عبيد الله وعبد الملك لمقابلة شارلمان في اكس لاشابل وهناك قابله وحثه على مهاجمة الأندلس،[3] أما سليمان فدخل الأندلس من العدوة سنة 182هـ/798م، واستطاع أن يجمع جيشا لمهاجمة قرطبة، وفي شوال من نفس السنة انهزم سليمان في معركة شديدة بينه وبين ابن أخيه الحكم، ومع ذلك فقد عاود سليمان القتال فاشتبك في بخيطة وانهزم ثم عاد للمرة الثالثة على رأس جيش من البربر سنة 183هـ في ناحية استيجة وهزم بها، ثم التقيا للمرة الرابعة وهزم بها كذلك، وفي سنة 184هـ/800م، حشد سليمان جيشا من شرق الأندلس فاستولى به على

[1] – ابن القوطية، مصدر سابق، ص43.

[2] – مجهول، مصدر سابق، ص121.

[3] – levi provençal opcite, p152.

جيان ثم إلبيرة وبعد التقاء الجيشان انهزم سليمان وقتل في الموقعة عدد كبير من انصاره، غير أنه فر ثم القي القبض عليه وأمر الحكم بقتله ودفنه في روضة قصر قرطبة.[1]

أما عبد الله بن عبد الرحمن فقد استولى على حصن وشقة بعد عودته من اكس لاشابل سنة 184هـ/800م واتجه بعدها إلى بلنسية فوجد بها تأييدا وأقام بها شبه مستقل عن قرطبة بعد أن عفا عنه الحكم وصالحه سنة 186هـ مقابل بقائه بها، واستقدم الحكم ولديه فولى أحدهما قيادة جيوشه، وعرف بصاحب الصوائف ومن غزواته غزوته إلى قطلونية ومهاجمته برشلونة، التي كانت قد سقطت في أيدي القطلانيين سنة 185هـ.

وكان الحكم أميرا شديد الحزم ماضي العزيمة، عظيم الصولة، حسن التدبير. وكان أفحل أمراء بني أمية، وأشدهم اقداما ونجدة وصرامة وأنفة وعزة "وهو أول من جند بالأندلس الأجناد والمرتزقة، وجمع الأسلحة والعدد، واستكثر من الحشم والحواشي، وارتبط الخيول على بابه، واتخذ المماليك وكان يسميهم الحرس لعجمتهم، وبلغت عدتهم خمسة آلاف، وكان مباشر الأمور بنفسه وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس" وكان يشبه بأبي جعفر المنصور في شدة البأس وتوطيد الدولة وقمع الأعداء، ومع ذلك فقد كان عادلا بين رعيته، متحيزا لحكامه وعماله.[2]

وعلى هذا النحو استطاع الحكم قمع ثورتين كبيرتين كادت تطيحان بإمارته: الأولى هي ثورة المولدين بطليطلة التي حدثت عام 171هـ/797م، وذلك لأنهم كانوا يميلون إلى الثورة على أمراء بني أمية، وأما الثورة الثانية هي ثورة أهل الربص بقرطبة عام 202هـ/ 817م والتي قامت بعدما سلبت منهم سلطتهم التي كانوا قد كونوها في امارة أبيه هشام حيث كان قد عظم شأنهم واستسلم لهم فانقلبوا عليه.

[1] –ابن عذارى، مصدر سابق، ص105.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج4، طبعة بيروت،1961، ص127.

إلى جانب هذه فقد قامت ثورة أخرى بماردة في الثغر الأعلى بقيادة أصبغ بن عبد الله ثم قضى بعدها على ثورة بهلول بن مرزوق في سرقسطة و وشقة سنة 176هـ/ 802م بعدها أذعنت الأندلس كلها بالطاعة للأمير الحكم.[1]

في تلك السنين التي قضاها الحكم في اخماد الفتن والثورات الداخلية، كانت الفرصة للممالك المسيحية في الشمال أن تعبث في ثغور المسلمين، ففي سنة 175هـ/801م استولى الفرنجة على برشلونة وكانت بها غزوة أرسلها الأمير إلى ألبة والقلاع بقيادة أخيه معاوية بن هشام، انهزم المسلمون هزيمة نكراء على أرغنصونArganzon وقد قتل في هذه الموقعة عدد كبير من قواد المسلمين، وفي سنة 192هـ/ 808م بعث الحكم ابنه هشام على رأس جيش إلى جليقية حيث عاد منتصرا وبعد ثمان سنوات أغزى الحكم وزيره عبد الكريم إلى أشتوريس التي انضم أهلها إلى الملك الفونسو الثاني سنة 182هـ، فنجح عبد الكريم في غزوته اذ انتصر على ألفونسو على نهر أرون Oron.[2]

وبعدها تصدى الحكم بقيادة ابنه لجيشلذريق بن قارلة ملك الفرنج (وهو لويس بن شارلمان) سنة 193هـ/ 809م وانتهت الحرب بينهما بانتصار المسلمين، وفي سنة 199هـ/815م أغزى الحكم ابن عبد الله البلنسي الغزوة المشهورة إلى برشلونة فانتصر على الفرنجة وهزمهم.

توفي الحكم في آخر سنة ستة ومائتين 821م بعد أن وطد ملك بني أمية وقضى على اعدائه، فلقد كان عكس أبيه رجلا شديدا البأس قوي الشكيمة.

استعمل القوة والعنف في مواجهة خصومه، فهو الذي دبر مذبحة المولدين بطليطلة ومذبحة الربض وقد أجمع المؤرخين العرب على حزمه وقوته وتقواه باستثناء ابن حزم الذي قال عنه: "أنه كان من المجاهرين بالمعاصي، السافكين للدماء لذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء".[3]

---

[1] – ابن الخطيب، **كتاب أعمال الأعلام**، تح: ليفي بروفنسال، بيروت 1956، ص15.

[2] – المقرى، مصدر سابق، ج1، ص319.

[3] – ابن عذاري، مصدر سابق، ص111.

وكان يقيم على القضاء من يعرف بالعدل وبعدهم عن الجور أمثال محمد بن بشير وكان يتخير لأحكامه أورع من يقدر عليه واقضاهم بالحق، وكان الحكم يحب بناء المساجد، وكان رغم فظاظته وقسوته شاعرا مطبوعا أحاط نفسه بالشعراء المجيدين أمثال عباس بن فرناس، يحي العزل، وابراهيم بن سليمان الشامي.[1]

3* عهد الامير عبد الرحمان الاوسط (206هـ- 235هـ / 822م ـ 852م)

هو الابن الاكبر للحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل، ولد بطليطلة في شعبان سنة 176هـ(796م) عنى والده بتعليمه وتخريجه في العلوم القديمة والحديثة، وعهد اليه بولاية العهد باعتباره اكبر اولاده، فلما توفي الحكم عام 106هـ(826م) خلفه الامير عبد الرحمان وهو في سن الثلاثين، وعرف بعبد الرحمان الاوسط لأنه ثاني ثلاثة سموا بهذا الاسم، كان ذو لينة ورقة، فكان وسطا بين العنف واللين.

وقد اثرت نشأته على تكوين شخصيته، فكان رجلا على مستوى عال من الثقافة والعلم وكان عالما متبحرا في علوم الشريعة والفلسفة، كما كان شاعرا أديبا ذا همة عالية،وفنانا يقدر الفن ويرفع منزلة أصحابه، فاحتضن العلماء ورجال الفن والأدباء.[2]

وكان عهده عهد سلم ورخاء بعد عهد الفتن والثورات الذي اتسم به عصر عبد الرحمن الداخل وعهد الحكم، وكثرت الأموال لديه "فاتخذ القصور والمتنزهات، وجلب إليها الماء، وجعل له مصنعا[3] اتخذه الناس شريعة، وزاد في جامع قرطبة رواقين وبنى بالأندلس جوامع كثيرة، ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة"، وهو الذي أسس مدينة مرسية، وكان عبد الرحمن الأوسط أول من فخم السلطنة بالأندلس"وكان أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة، وكسا الخلافة أبهة الجلالة"،وهو أول من أحدث بقرطبة دار

[1] – المقرى، مصدر سابق، 320.

[2] – ابن خلدون،مصدر سابق، ص130.

[3]– هو الحوض الذي يتخذ للسقية ويذكر ابن عذارى أنه عمل السقاية على رصيف قرطبة (انظر ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص136)

السكة وضرب النقود باسمه، وهكذا سمت الحياة في الأندلس وتألقت الحضارة وتحول المجتمع الأندلسي الذي كان يقوم على أخلاط بشرية غير منظمة إلى مجتمع منظم مظهره ، مصقولة صورته[1].

واستجلب عبد الرحمان إلى الأندلس روائع التحف التي كانت في قصور بغداد عند قتل الأمين بن الرشيد مثل عقد الشفاء، واعلاق زبيدة بنت جعفر.

تمت بيعة الأمير عبد الرحمان في ذي الحجة سنة 206هـ (22مايو سنة822م) وخرج عليه في أول ولايته عم أبيه عبد الله البلنسي الذي توفي في سنة 208هـ(823م-824م) ولم يقطع السكون الذي ساد عهده إلافتنة قامت في تدمير سنة 207هـ(823م) بين المصرية واليمنية والتي دامت سبع سنين، حتى سنة 213هـ(823-824م) وتدخل الأمير وأخمدها. كذلك ثار طوريل البربري بتاكرنا سنة 211هـ(826م) فبعث له الأمير قائده عبد الرحمان بن معاوية بن غانم فظفر به، وفي سنة 214هـ/829م ثار هاشم الضراب بطليطلة الذي لم يستطع ترويضه رغم الجهود فخرجت طليطلة عن طاعته إلى أن افتتحها قهرا في رجب سنة 222هـ.

وفي سنة 236هـ-850م ثار عليه أحد البربر واسمه حبيب البرنسي بجبال الجزيرة الخضراء، كذلك ثار عليه أهل ماردة سنة 213هـ-827م غير أن اخضاعها لم يحن إلا بعد محاولتين للأمير: الأولى سنة 214هـ-829م والثانية 215هـ-830م، ففي عام 213هـ-828م سجل عبد الرحمن الأوسط اخضاع ماردة وبنى قصبتها.[2]

ولقد تألقت في عصر الأوسط عدة كان لها أثر كبير في التقدم الحضاري الذي أصاب الأندلس من هذه الشخصيات الفقيه المحدث يحي بن يحي الليثي الذي كان يروي الموطأ بقرطبة عن زيادة عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبطون وانتهت إليه الرئاسة في الفقه والقضاء، وكذلك من شخصية المغني الشهير الحسن بن علي بن نافع المعروف بزرياب

[1]- ابن عذارى. مصدر سابق. ص136.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، مرجع سابق، ص230-231.

والذي كان من أعظم شخصيات هذا العصر وأجلها قدرا، إذ قدم إلى الأندلس سنة 206هـ-821م من العراق حيث استقبله الأمير عبد الرحمن بنفسه.[1]

أما الشخصية الثالثة ذات الأثر الكبير في عصر عبد الرحمن الأوسط هي طروب جارية الأمير وأم ولده عبد الله الذي سيولى الامارة فيما بعد، وكانت هذه من بين جاريات شماليات أجهن عبد الرحمن إذ كان كثير الميل للنساء، فكانت تطمع في الامارة لابنها بعد أبيه بدلا من ولي عهده، ولم تلبث أن دبرت مؤامرة لقتله مستعينة في ذلك بفتاه نصر الصقلي وانكشفت المؤامرة سنة 236هـ.[2]

كذلك من أهم الأحداث في هذا العصر غارات النورميدين على سواحل الأندلس الغربية والشرقية وكانت أول مرة سنة 229هـ-844م في يوم الأربعاء أول ذي الحجة 20 اغسطس ظهرت نحو54 سفينة نورميدية عند مصد نهر تاجة، فنزلوا بثغر لشبونةLisbonne وفي 12 محرم سنة 230هـ (29سبتمبر) احتلت هذه السفن جزيرة قبطيلCaptel واتجهوا بعدها إلى طليطلة Toledo وفي يوم الاربعاء 14 محرم سنة 230هـ احتلوا اشبيلية قسرا، فاستنفر عبد الرحمن الاوسط وجهز جيشه واستنفر معه أهل الثغر فاشتبك مع النورمانديين في قرية طلياطة يوم الثلاثاء 25 صفر سنة 230هـ (11نوفمبر سنة 844م) فهزمهم واحرق عددا من مراكبهم وحور اشبيلية.

ولقد احتاط الأمير لأي غزو من النورمانديين فأمر بانشاء دار لصناعة الأسطول باشبيلية لبناء السفن والمراكب "واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس، فالحقهم ووسع عليهم، فاستعد بآلالات والنفظ" وهكذا أصبحت اشبيلية منذ ذلك الحين الميناء الأول للأندلس وقد كان لميلاد البحرية الأندلسية نتائج هامة منها فتح جزر ميورقةومنورقة ويابسة سنة 234هـ أما بالنسبة لغزوات الأمير عبد الرحمن الأوسط ضد النصارى، ففي سنة (208هـ-823م) غزى القائد عبد الكريم بن عبد الواحد ألبة والقلاع، وفي سنة 210هـ-825م كانت غزوة

[1] - المقري مصدر سابق، ص217.

[2] - نفسه، ص ص235-238.

الفتح التي انتصر فيها المسلمون بقيادة عبيد الله البلنسي على جيوش اشتوريس، وفي نفس السنة وبقيادة العباس بن عبيد الله تمكن من مهاجمة جلقية والتوغل إلى بازو Viseu.[1]

كذلك غزى عبيد الله بن عبد الله البلنسي بلاد جليقية والقلاع عام 211هـ-826م كما غزى هو نفسه سنة 212هـ بالصائفة إلى برشلونة ولم يستطع افتتاحها فضرب بها حصارا واكتفى بالاغارة على نواحي برشلونة مدة ستين يوما، ولم يعاود مهاجمتها إلا سنة 224هـ-840م.

ثم عاود الأمير عبد الرحمن الغزو الى بلاد اشتوريس سنة 223هـ-838م فاغزى اليها ثلاث جيوش اسلامية أحدها بقيادة عمه الوليد بن هشام والثاني بقيادة الأمير سعيد الخير أخ الأمير عبد الرحمن، والثالث بقيادة أخيه أمية، وعاود الغزو سنة 224هـ-839م إلى ألبة والقلاع، ومرة أخرى حدثت سنة 235هـ-848م.[2]

رابعا: عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن:

تولى الأمير محمد الإمارة في 4ربيع الآخر سنة 238هـ-852م وحكم ما يقارب خمس وثلاثين سنة، وكان محبا للعلم مؤثرا لأهل الحديث وكان قد فوض أمور دولته لهاشم بن عبد العزيز أعظم وزرائه وكان هو يقود جيشه توالت في عهده كغيره من الحكام مجموعة من الثورات كانت أولها ثورة أهل طليطلة وكانت في نفس عام توليته فغزاها سنة 279هـ واحتل قلعة رباح وأمر ببناء سورها واعاد الكرة عليها في محرم سنة 240هـ (جوان سنة 854م لعدم حمودها[3]، كذلك سنة 242هـ-856م زجه الأمير محمد ابنه المستر بالجيوش إلى طليطلة وخرج لها الأمير بنفسه سنة 244هـ-858م وفيها دخلت طليطلة تحت حكم قرطبة لكن ذلك لم يدم أكثر من عشر سنوات ثم ثار أهلها سنة 256هـ-875م فخرج لها الأمير قائدا لجيشه وصحح أمورها وفرض عليها الطاعة وأرغم شعبها على تقديم ضريبة يؤدونها.

---

[1]-levi provençal-opcite, p203.

[2]- ابن عذارى، مصدر سابق، ص 127.

[3] - ابن القوطية، مصدر سابق، ص90-91.

وتبعتها ثورة أهل ماردة بقيادة عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بابن الجليقي مع جماعة من المولدين سنة 254هـ-868م التي توجه إليها بنفسه وحاصرها واضطر أهلها إلى التسليم، وأعاد وأغزى عليها ابنه المنذر على رأس جيش لكنه انهزم.

كذلك ثار عليه سليمان بن عبدوس سنة 255هـ في سربة وعمروسالوشقي في وشقة سنة 256هـ، ويونس بن زنباط في الثغر (تطيلة وسرقسطة) سنة 258هـ، بالإضافة إلى ثورات أخرى سنة 265هـ، 267هـ، 273هـ، 280هـ... وعلى الرغم من التمزق السياسي الذي أصاب الأندلس في عهد الأمير محمد إلا أنه كان أحسن الناس تمييزا وأبصرهم بوجه الرأي وكان محبوبا ولم تكن علاقاته وقفا على أمراء المسلمين بل تعدت صداقاته مع ملوك الدول المسيحية المجاورة أمثال قارلهCharles ملك الفرنجة.[1]

خامسا: عهد الأمير المنذر بن محمد: (273هـ-275هـ/886م-888م):

بموت الأمير محمد زال ستر الحرمة وخرقت هيبة الإمارة واستقبل ابنه المنذر نيران الفتنة، وكان أول ما قام به عند توليته القبض وزير أبيه هشام بن عبد العزيز وضرب عنقه.

واشتعل قطار الفتن وكانت أولها بقيادة عمر بن حفصون والذي خرج إليه الأمير المنذر بجيوشه عام 274هـ وفتح حصونه ثم مضى إلى مدينة ارشدونة ولما استفحل أمر ابن حفصون، اقسم الأمير أن يقصده وأن يحاصره ب بشتر فحاصرها 43 يوما ثم اصابته عله فبعث إلى اخيه عبد الله لينوب عنه في الحصار ومات الأمير المنذر في 15 صفر سنة 275هـ فحمل إلى قرطبة حيث دفن مع أجداده في تربة الخلفاء المعروفة بالروضة داخل القصر.[2]

[1] – السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، مرجع سابق، ص245.

[2] – ابن عذاري، مصدر سابق، ص 173-175.

سادسا: عهد الأمير عبد الله بن محمد:

عندما تولى الأمير عبد الله الإمارة كانت الأندلس قد مزقها الشقاق واستولت عليها الفتن، ولم يدر إلى أين يصرف وجهه إلى ابن حفصون الذي بات يهدد قرطبة حاضرة الإمارة، أم إلى ابن حجاج الذي استقل باشبيليةوقرمونة أو إلى عبد الرحمن بن مروان الجليقيبيطليوس، أو إلى عبد الملك بن أبي الجواد بباجة....، لكنه آثر أن يبدأ بابن حفصون فتوجه إليه وهزمه ثم انصرف إلى مهادنة ابن حجاج وظل الصراع مع الثوار الأندلس حتى وفاته سنة 300هـ-912م وقد اجمع مؤرخو العرب ماعدا ابن حزم على أن الأمير عبد الله كان تقيا ورعا، كثير الصلاة والصدقات، محبا للخير، شديد التواضع.[1]

وبذكر اعمال الأمير عبد الله بعيدا عن غزواته والثورات القائمة في عهده فقد اهتم بالجانب العمراني المعماري، أهمها بناء مدينة بجانة وكان ينزل بها بنو سراج القضاعيون الذين وكل إليهم بنو أمية حراسة هذا الإقليم، فسمي المكان بأرش اليمن.

واستقر بها في أواخر سنة 271هـ-883م جماعة من البحريين وذلك في أواخر عهد الأمير محمد، ونجحوا في التغلب على أصحاب أرش اليمن فبنوا سورا بها وامتثلوا ي ذلك تخطيط مدينة قرطبة، فأمنها الناس واقبلوا يسكنونها فرارا من الفتنة التي اجتاحت الأندلس في ذلك الوقت.

وفي سنة 275هـ كتب البحريون الذين اختطوا مدينة بجانة إلى الأمير عبد الله يسألونه اقرار واليهم، وإباحتهم البنيان حول قصبة بجانة والتوسع في عمرانها ومرافقها لتكاثر الناس بها فأجابهم فتوسعوا في الاحتطاط بها، وأقاموا حولها عشرين حصنا.[2]

[1] – مجهول، نفس المصدر السابق، ص150.

[2] – ابو عبيد الله محمد بن عبد المنعم، **صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)**، نشره ليفي بروفسان، القاهرة 1937، ص37-38.

المبحث الثالث: الخـلافة القرطبية:

أولا : عهد عبد الرحمن الناصر وتوحيد الأندلس:

لما مات الأمير عبد الله سنة 300هـ-912م ظفر عبد الرحمن بن محمد بالإمارة دون أعمامه وأعمام أبيه، وكانوا أحق منه بها شرعا، لكنهم تخلوا له عنها زاهدين فيها لما يحيط بها من أخطار، وكان اعتلاء الإمارة بقرطبة يعني التعرض لهذه المكاره، وكان الظن أن مصيرها يؤول حتما إلى الزوال، فتعلقت الآمال بهذا الشاب اليتيم الذي يتوقد شبابا وعزما، ويتحرق شوقا لتوحيد دولة الإسلام في الأندلس وهكذا تهيأت الإمارة بلا منازع، فعمد قبل كل شيء إلى إطفاء نيران الفتن واستفزال أهل العصيان وكانت سياسة ترى أولا إلى تركيز السلطة في يده فأصطنع سياسة تقوم على الترهيب والترغيب،[1] وشرع بتنفيذ خطته، فكتب إلى العمال في جميع كور الاندلس بطلب الطاعة والاستسلام، أرسل له الأمراء وتتابعت البيع له ولما مضى شهر على توليته أعد حملة للقضاء على بقية الثوار وتسمى هذه الصائفة بغزوة المنتاون، افتتح فيها سبعين حصنا وافتتح سنة 301هـ مدينة اشبيلية واستعمل عليها سعيد بن المتدر، بعدها رأى أن يقضي على رأس الأفعى عمر بن حفصون وولده جعفر الذي قد تحصن بمدينة بشتر والذي كانت قد دانت له كل المدن الواقعة بين رية والجزيرة الخضراء وكان قد أغار على مورو وشذونة و قرمونة واليبرة ثم ارتد عن الاسلام واعتنق المسيحية ولما عاين المسلمون ما فعل ابن حفصون استقبحوا منه ذلك وانفضوا من حوله وكان ذلك بداية نهايته وضعف أرمه وتظاهر بالخضوع لعبد الرحمن الناصر وقيل أنه اشترك معه في غزواته ضد المماليك المسيحية بعد أن صفح عنه الأمير وتوفي سنة 303هـ-915م.[2]

وخلفه ابنه جعفر الذي ذهب مذهب أبيه في العناد والفساد غير أن عبد الرحمن الناصر سير إليه جيشا سنة 306هـ، استولى في طريقه إليها على حصن دوس أمنتوس Dos

[1] – السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، مرجع سابق، ص280.

[2] – الحميري، مصدر سابق، ص20.

Amantes، وفي جمادى الثاني سنة 308هـ-920م قتل جعفر بن عمر بن حفصون ثم تظاهر أخوه سليمان بالطاعة للأمير الناصر لكن سرعان ما نكث عهده بعدما قوي أمره فقتله الأمير وهزم جيوشه سنة 314هـ-926م ثم خلفه أخوه حفص بقلعة بشتر فخرج إليه الأمييير سنة 315هـ-927م ووصل إلى قلعة بشتر وأقام بجوارها حصنا وأذعن له حفص بالسلم، وهكذا قضى عبد الرحمن على بني حفصون أخطر الخارجين عليه.[1]

وفي سنة 317هـ-929م توجه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى مدينة بطليوس لمحاربة عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقي الثائر بها فحاصرها وافتتحها سنة 318هـ، كما حارب عبد الرحمن بن سعيد الثائر بمدينة باجة، وهكذا استطاع عبد الرحمن الناصر أن يقضي على أعداء الوحدة بالأندلس وجمع شمل المسلمين تحت لوائه.[2]

ثانيا: الأخطار الخارجية التي واجهت الخلافة الأموية:

تعرضت بلاد الأندلس في هذا العهد لأخطار عديدة كادت تطيح بملك المسلمين، منها خطر النورمنديين وقد ذكرنا فيما سبق غزواتهم في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ورأينا كيف نبهت غاراتهم أمير قرطبة فيما سبق غزواتهم إلى ضرورة اصطناع بيات بحرية، فأنشأ عبد الرحمن دار الصناعة باشبيلية، واستعان برجال البحر من سواحل الأندلس والواقع أن الناصر هو الذي اهتم اهتماما جديا باصطناع هذه السياسة البحرية، وعمل على انشاء أسطول قوي يصد الأخطار الناشئة من غارات المجوس والغزو الفاطمي على السواء، ويذكر ابن خلدون أن اسطول الأندلس "انتهى في أيامه إلى مائتي مركب أو نحوها"[3] و كان قد أمر في سنة 302هـ-914 بإيقاف هذا الاسطول عند مضيق جبل طارق ليمنع الامدادات من ساحل افريقية الشمالي إلى ابن حفصون إذ كان قد تحالف مع الفاطميين، وكان لأسطوله

---

[1] – compas ycazorla,arquitectura califal.y.mozarabe,cartile-lasdiela aquitecura,espangnola,iv, madrid 1929,pp24-25.

[2] – ابن عذارى، مصدر سابق، ص ص301-302.

[3] – ابن خلدون، مصدر سابق، ص278.

الفضل في استيلائه على مليلة 314هـ-927م وعلى سبتة سنة 318هـ-931م وفي عهد الحكم المستنصر ظهر النورمان على الساحل الشرقي للأندلس وحاصروا حصن القبطة من حصون المرية فاضطر الخليفة الحكم إلى الذهاب بنفسه إلى المرية سنة 353هـ-964م ليتفقد الأعمال الدفاعية ويشرف عليها وأعادوا الكرة فأعادوا الإغارة في عهد الخليفة الحكم على السواحل الأندلسية في رمضان سنة 360هـ.[1]

أما الخطر الثاني الذي كان يهدد دولة بني أمية بالأندلس، فهو خطر الفاطميين المقيمين ببلاد المغرب، وذلك لإخضاع كل المغرب الإسلامي والأندلس للتشيع الفاطمي، فأرسل خلفائهم العيون للأندلس للتجسس على أحوالها أمثال: أبو اليسر الرياضي وابن هارون البغدادي وابن حوقل النصيبي.[2]

وقد لعب هؤلاء الجواسيس المشارقة في الأندلس دورا هاما في الدعاية للفاطميين في الوقت نفسه الذي أفادوا الخلفاء الفاطميون بأحوال البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد نجح الفاطميون في اجتذاب أنصار لهم بأرض الأندلس أمثال ابن أبي المنظور قاضي اسماعيل المنصور وابن هاني الشاعر الذي التحق بخدمة المعز لذلك عمد على محاربتهم بالطرق التالية:

1-تلقب بألقاب الخلافة في 28 ذي القعدة سنة 31هـ-928، ليوطد مركزه داخل الأندلس ويفرض هيبته في النفوس، وأصدر منشورا ووزعه عماله في النواحي المختلفة.[3]

2-بث بذور الفتنة بين قبائل البربر في بلاد المغرب، فانضم إليه بنو إدريس أمراء العدوة، وملوك زنانة.

---

[1] – ابن الخطيب، **اعمال الاعلام**، مصدر سابق، ص38.

[2] – محمود على مكي، **التشيع في الأندلس**، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، المجلد الثاني في 1954، ص112-115.

[3] – محمود علي مكي، التشيع في الأندلس ، ص117.

وباستيلائه على معبري الأندلس سبتة 931م وطنجة 927م ومليلة في نفس السنة استطاع بذلك السيطرة على الملاحة في المضيق.

وعمل الخليفة الناصر على توطيد علاقته مع بعض الدويلات المغربية كدولة بني رستم الخارجية في تيهرت،[1] وتشجيع الثائرين على الخليفة الفاطمي أمثال أبي يزيد مخلد بن كيداد.

3-أنشأ الناصر أسطولا قويا نازع به سلطان الفاطميين كما قصد به الدفاع عن سواحله، وحدث أن هاجم الأسطول الفاطمي بقيادة الحسن بن علي على مدينة المرية 344هـ-955م وأحرق السفن الراسية بالميناء، فعمد غالب قائد أسطول الناصر إلى الرد على هذه الحملة، فأغار في ستين سفينة على سواحل افريقية سنة 345هـ-956م.

4-وطد الناصر علاقته بأعداء الفاطميين، فتحالف مع ملك ايطاليا Hugues de provence الذي كان يحنق على الفاطميين لتدميرهم ميناء جنوة، كما تحالف مع امبراطور بيزنطة الذي كان يهدف لاسترجاع صقلية من أيدي الفاطميين، ثم وطد علاقته مع الاخديشين في مصر وعمل على ارسال الفقهاء المالكية من الأندلس إلى مصر لمحاربة خطر المذهب الشيعي، أمثال: أبو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي، وهكذا أدت سياسة الخليفة الناصر إلى انصراف الفاطميين عند فتح الأندلس إلى فتح مصر.[2]

ثالثا: قرطبة حاضرة الخلافة الأموية:

أصبحت قرطبة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر مهد الحياة الرفيعة ومصدر الحضارة السامية وموطن الفلاسفة والشعراء، ومركز الفنون والآداب، وكانت أكبر مدن

[1]- محمود علي مكي، التشيع في الأندلس، مرجع سابق، ص121.

[2] -ابن عذاري، مصدر سابق، ص318.

أوروبا سكانا فقد بلغت في هذا العصر تطورا عمرانيا، وقد بلغ عدد سكانها في عهد الخليفة الناصر نحو نصف مليون نسمة.[1]

وبلغت قرطبة على الأخص في عهد الخليفة الحكم المستنصر مستوى من الرخاء والثراء لم تبلغه حاضرة أخرى من قبل، وقد وصفهامؤرخو العرب وجغرافيوهم أبدع وصف وأشادوا بعظمتها وتفوقها على سائر مدن الأندلس، فيقول الحجاري في المسهب:

"كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام، ومجتمع اعلام الأنام، بها استقر سرير الخلافة المروانية، وبها تمخضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية، وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ونهرها من أحسن الأنهار، مكتنف بديباج المروج، مطرز بالأزهار تصدح في خيباته الأطيار، وتنعر النواعير ويبسم النوار، وقرطاها الزهراء والزاهرة حاضرتا الملك وافقاه النعماء والسراء، وإن كان قد أخنى عليها الزمان وغير بهجة أوجهها الحسان، فتلك أعادته وسل الخورنق والسدير وغمدان،[2]" وكانت قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتبا وأهلها أشد الناس اعتناءا بخزائن الكتب، وهكذا أغرم أهل قرطبة باقتناء الكتب حتى كانت من أروج متاجرها فقيل: "إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلات حملت إلى إشبيلية".

وقد بلغت قرطبة من العمران والتمصير زمن الخلافة غاية ما بلغته، وأن دورها بلغت 213077 دار للعامة و6300 دارا للأكابر وللوزراء والكتاب والأجناد بالإضافة إلى الحمامات والحانات، وبلغ عدد حوانيتها 80555 حانوتا، وعدد حماماتها 911 حماما وعدد مساجدها 3877 مسجدا.[3]

---

[1]Zorresbelbes: exetencion y dermografia de les crudades hispano musulmanas, studia islamica, vol 3 ,1955, p53.

[2] – المقري، مصدر سابق، ص146.

[3] – محمد ابن ايوب الأندلسي (ابن غالب) **قطعة من كتاب فرحة الأنفس بعد الأربعمئة**، نشرها الدكتور أحمد لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية القاهرة، 956، ص ص26-27.

وفي المجال الفني كان جامع قرطبة مركزا للحج في الأندلس، يفد إليه المسلمون لزيارته والاحتفال بليلة القدر فيه، وليس أدل من ذلك من قول ابن صاحب الصلاة الولنبي: "...وإني شخصت إلى حضرة قرطبة حرسها الله تعالى منشرح الصدر لحضور ليلة القدر، والجامع قدس الله تعالى بقعته ومكانه، وثبت أركانه وأساسه، قد كسي ببردة الأزدهاء، وجلي في معرض البهاء، كأن شرفة فلول في سنان أو أشرفي أسان....".[1]

وفي المجال الأدبي نبغ من رجالها في الشعر أبو عبد الله محمد بن مسعود القرطبي في المائة الخامسة وأبو بكر يحي بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي، وأحمد بن مسعود بن محمد الخزرجي القرطبي في المائة السابعة، كما اشتهر من شعرائها أبو جعفر أحمد بن شطرية القرطبي، واشتهر من قضاتها أبو الوليد أحمد بن رشد المتوفي سنة 573هـ.[2]

ويجمع مؤرخو العرب على أن عدد أبواب مدينة قرطبة سبعة أبواب، أهمها الباب الجنوبي المعروف بباب القنطرة لأنه يؤدي إلى القنطرة المقامة فوق الوادي الكبير، وفي السور الشرقي باب الجديد، وهناك بابان عبد الجبار نسبة لعبد الجبار بن الخطاب مولى الخليفة الأموي مروان بن الحكم، أما أبواب السور الغربي فهي ثلاثة باب عامر القرشي وباب الجوز أو باب بطليوس، وباب إشبيلية ويسمى أيضا باب العطارين، أما السور الشمالي فكان ينفتح فيه باب يعرف بباب ليون أو باب طلبيرة أو باب اليهود.

ولقد عمل الخليفة الناصر على تحصين أبوابها فابتنى لها أبوابا داخلية توازيها سنة 301هـ لتيسير الدفاع عنها.[3]

وإذا انتقلنا إلى الحركة العلمية في قرطبة في هذا العصر وجدنا أنها نشطت نشاطا لم تشهد له نظيرا من قبل، حتى أصبح اسم قرطبة يقترن بالعلم والعلماء وفي ذلك يقول الشاعر:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة***منهن قنطرة الوادي وجامعها

---

[1]– المقري، مصدر سابق، ص90.

[2]– علي بن موسى ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تح، شوقي ضيف، القاهرة 1958، ص114.

[3]– المقري، مصدر سابق، ص161.

هاتان اثنتان والزهراء ثالثة***والعلم أعظم شيء وهو رابعها

وقد أنجبت قرطبة عدد كبيرا من العلماء في الفلسفة والطب والأدب، ففي الفلسفة ظهر فيلسوف قرطبة الأول محمد بن عبد الله بن ميسرة القرطبي (296هـ-319هـ) (881م-931م) وهو الذي أحرقت كتبه ومصنفاته بأمر الخليفة الناصر خارج باب جامع قرطبة، الذي كان مذهبه يجمع بين التصوف والاعتزال، ومن تلاميذه الياس بن يوسف الطليطلي وخليل بن عبد الملك.[1]

وفي الطب ظهر أحمد بن إلياس القرطبي، وأبو عبد الله محمد بن عبدون العذري القرطبي وحسداي بن شبروط اليهودي في عهد عبد الرحمن الناصر، وأبو القاسم الزهراوي في عهد الحكم المستنصر.

وقد شجع خلفاء بني أمية الكتاب واحتضنوهم واهتموا باقتناء الكتب النادرة فقد قرب الخليفة الحكم المستنصر، القاضي أبي بكر الأبهري المالكي ومحمد بن القاسم بن شعبان بمصر ومحمد بن يوسف الوراق الذي صنف له كتاب ضخما في مسالك افريقية وممالكها....الخ.

وكان يغنيهم بالمال في كتابة مؤلفاتهم، وكان لا يتردد في مساعدتهم من الناحية العلمية بإعادتهم، فقد جمع في قصره الحذاق في النسخ والمهرة في الضبط والمجيدين لفن تجليد الكتب، وكان من بين اهتماماته جمع كتب الطب والعقاقير والتنجيم.

ولا ينبغي أن نترك هذا الموضوع دون أن نشير إلى ما ذكره الرحالة ابن حوقل في وصف قرطبة إذ يقول: "وهي أعظم مدينة بالأندلس، وليس بجميع المغرب لها عندي شبيه في كثرة اهلها، وسعة محل، وفسحة أشواق، ونظافة محال، وعمارة ومساجد، وكثرة حمامات وفنادق".[2]

[1] – السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص310.

[2] – نفسه، ص ص313-315.

خلاصة الفصل الأول:

استمرت الدولة الأموية في الأندلس رسميا حتى 422هـ/ 1032م، حيث سقطت الخلافة وتفككت إلى عدد من المماليك بعد حرب أهلية بين الأمراء الأمويين الذين تنازعوا حول الخلافة فيما بينهم مما أدى بعد سنوات من الاقتتال الى تفكك الخلافة إلى عدد من الممالك المستقلة.

الفصل الثاني
العمارة الإسلامية بالأندلس خلال العهد الأموي

المبحث الأول العمارة المدنية

المبحث الثاني: العمارة الدينية

المبحث الثالث: العمارة الحربية

اعتمد العمران العربي الاسلامي منذ بدء ظهور الاسلام على روافد حضارية أخرى كانت تعيش قبله بزمن طويل مثل العمران الساساني في العراق وبلاد ما وراء النهر والعمران البيزنطي في بلاد الشام ومصر، غير أنه سرعان ما تبلور هذا العمران الوليد في جميع أنحاء االدولة العربية الاسلامية، شأنه في ذلك شأن الدولة ذاتها في سرعة تكوينها، حتى غدا له طابعه الخاص والمميز في كل ولاية من ولاياتها، فنجده يتجسد في ثلاثة أنواع: العمارة الحربية، الدينية، المدنية، ومما لا شك فيه أن هذه المنشآت بأنواعها تقتضي دراستها الوقوف أولا علىالحوائط الخارجية التي تتشكل منها، كما تقتضي بالتالي الوقوف على عناصر التصميم الداخلي التابعة لكل منها ناهيك عن الحديث عن العناصر الانشائية لها مثل الأعمدة، الدعائم، القواعد، القباب، السقوف الخشبية، الأبواب والنوافذ..... الخ كما أن الحديث عن العمارة الاسلامية لها صلة بالطرق والمباني المجاورة لها والمدن و جغرافيتها الواقعة بها.

المبحث الأول: العمارة المدنية.

أولا: ذات الطابع الخاص

1-الدور والمنازل:

الدور لغة: أدورَ، وأدورُ، وأدورٌ، وديارةٌ، وديران ودورات وديارات وأدوار ودورةٌ [1]

الدور اصطلاحا: والمحل يجمع البناء والعرصة كالدارة[2]

أما المنزل في اللغة: نزلَ، ينزل، منزل [3]

وفي الاصطلاح: المسكن وقيل هو كل بيت من حجر قرشية4

[1]- الفيروزأبادي محمد الدين يعقوب، **القاموس المحيط**، ترجمة، محمد بن محمد التركزي، ج1، ص 407.

[2]- ابن سيده، **المخصص**، المكتب التجاري بيروت ، ج1، ص 462.

[3]- نفسه، ج2، ص 462

[4]- الفيروزأبادي، نفسه، ص 468.

أما دور الخواص تلك التي تعود الى عدد من الشخصيات البارزة والمميزة ذات المنزلة الاجتماعية المعروفة لدى عوام الناس وعلى المصادر والمراجع التي اطلعت عليها لم تمدني بالوصف الكامل والدقيق لها ومنها:

أ-دار القاضي مندر بن سعيد البلوطي: الواقعة بالقرب من مقبرة قريش بالربض القريب من قرطبة وراء باب عامر القريشي

ب-دار الصميل بن حاتم: في شقندة قرب نهر قرطبة كان مسكنه بها مشرف على ذلك من سفح الجبل المطل على شلاره1

ج-دار أبي المطرف المغيرة بن الناصر لدين الله: كانت تعود للأمير الحكم بن هشام من ثم صارت لابنه عبد الرحمان الأوسط ومن ثم باعها الناصر لدين الله مع الدار المتصلة بها التي كانت تعود لورثة هشام بن عبد الرحمان فاتخذهما معا محلا لابنه الخليفة الحكم المستنصر.[2]

2- القصور:

القصر لغة: قصرَ، يقصرُ، قُصورا[3]

القصر اصطلاحا: هو بناء عال، وهو أيضا بيت يبنى مقرا ضخما طويلا والجمع صروح وهو القصر أيضا والصرحة موضع وقيل متن من الارض بمستوٍ[4]

أ-قصر مربيط في مجريط: شهدت المدن الأندلسية حركات معمارية شملت أغلب مدنها ومنها مدينة مجريط، فقد بنى فيها الامير عبد الرحمان سنة (112- 172هـ / 730-

---

[1]- شلار: قرية بالاندلس من نواحي قرطبة انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج3 ص 31.

[2]- ابن حيان مروان حيان بن خلق بن حسين، **المقتبس من ابناء أهل الأندلس**، تحقيق الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1995_ ص 19

[3]- الفيروزأبادي، المرجع السابق، ص 220.

[4]- ابن سيده، المصدر السابق، ص ص 451- 452.

880م) قصر مربيطر وفيه المجلس المشرف منها والبطحاء قد لبست زخرفتها، وحجج الغمام مطرحها وفيها حدائق ترنو على مقل من حسنها وثبت طيب نفسها والجلنار[1]

ب–قصر منت ميرو: بنى عبد الرحمان الأوسط قصرا في مدينة منت ميرو ومن جباله شاده مرمرا وجلله كلسا فالطير فيه ذراه وكور.

ج–قصر هشام في طليطلة: اتخذ الحكم بن هشام قصرا في طليطلة احتفر ترابه وبنى جدرانه من صحنه فلما الا ما يخص الصحن، أعمل الحضور على طليطلة وعرض واليها عليه أو على ابنه حضور صنيعه، بالقصر الجديد وتم البناء سنة (181هـ/ 797م) [2]

د–القصور في قرطبة: يقع القصر الخلافي في داخل المدينة وهو بناء روماني قديم توارثه الملوك من العصر الروماني حتى الفتح العربي ثم اتخذه الولاة منذ ولاية أيوب بن حسن اللخمي مقرا لهم الى ان قامت الدولة الاموية، فوسع فيه الامراء الامويين، وشيدوا به قاعات جديدة ومجالس وقصور تألقوا في تزيينها حتى بلغت العناية في الفخامة وساقوا إليها المياه من جبال قرطبة، وأجروها في ساحاته في برك وأحواض من الرخام، ولا شك أن أعمال عبد الرحمن الداخل كانت اضافات وترميمات ليكون القصر جديدا بقصر امارته، ويبدوا أن القصر كانت له منظرات تطل على النهر والربض الجنوبي، و قد اتخذ عبد الرحمن الأوسط القصور والمتزهات وجلب اليه المياه من الجبال،[3]ويذكر ابن خلدون أن الامير الحكم بن هشام وعبد الرحمان الاوسط والامير محمد اهتموا بتشييد المجالس بقصر قرطبة، فأسسوا فيه المجلس الزاهر والبهو الكامل والمُنيف، وفي هذا المجلس جلس عبد الرحمن الناصر وأخذ البيعة، و أضاف الى القصر الأمير عبد الله بن محمد (275–300هـ) بابا في القصر عند ركنه القبلي سماه باب العدل، وكان يجلس فيه يوما في الاسبوع للاستماع الى مظالم الناس، أما الناصر فولعه بالبنيان لم يترك في قصر الامارة بنية الا وترك فيها أثرا محدثا إما بتجديد

[1]– الجلنار: هي زهرة الرمان ومن اجمل الزهور المنتشرة، وتشتهر باسمها الفارسي، الفيروز ايادي، **القاموس المحيط**، ج1، ص 468

[2]– رغد جمال مناف العزاوي، **العمارة الأندلسية من القرن 2هـ الى 5هـ**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة بغداد 2013، ص ص 149– 150.

[3]– رغد جمال مناف العزاوي، مرجع سابق، ص 161

أو بتزيين، ومن الابنية التي أضافها فيه قصر بناه عرف بدار الروضة، بجوار قصره الزاهر وسمي كذلك لأنه كان يطل على تربة الخلفاء والمعروفة بالروضة داخل القصر.

ج _ وقد كان قصر قرطبة يضم قصورا بالاضافة الى التي ذكرنا وهي قصر المجُدد، قصر الحائر، قصر الوزراء، والمعشوق والمبارك، والرشيق والسرور والتاج والبديع.[1]

ومن أبواب قصر الخلافة بقرطبة الأبواب القبلية: باب السطح المشرف (باب السدة) أحد الأبواب الرئيسية، وكان ينفتح على رصيف قرطبة كان يشرف الامير من خلال سطحه على اعدام الثوار أمام الباب، وعلى هذا الباب صلبت جثة عمر بن حفصون سنة 316هـ كذلك هناك باب العدل فتحه الامير عبد الله وأقام الناصر فوارة أمامه سنة 307م، وكان هناك باب قبلي ثالث يقال له باب الحديد، أما الابواب الشمالية هما بابان باب قورية وباب الصناعة وكان هذا الاخير مغلقا، وهناك أبواب شرقية أهمها جميعا باب الجامع وهو الذي كان يدخل منه الامراء على الساباط الى المسجد، أما الجهة الغربية من القصر كانت كلها بساتين وجنات وروضات، وقد تعرض القصر لأعمال النهب والسلب والتخريب عند دخول البربر قرطبة سنة 403 هـ، فطمست أبوابه، ولم يعد يقيم فيه الخلفاء ولا الامراء ولا العمال فبنو جهور كانو يتولون أمر قرطبة من ديارهم وعندما نزل المعتد بن عباد بقرطبة أقام في قصر البستان الواقع عند باب العطارين، كذلك لم ينزل فيه الخليفة يعقوب بن المنصور عند مروره بقرطبة، ومع ذلك فقد ظل قصر قرطبة قائما حتى سنة 1236م التي سجلت سقوط قرطبة في أيدي القشتاليين، فكان من نصيب أسقفها وعرف منذ ذلك الحين بالقصر الأسقفي palacio Episcopal.[2]

3-المدن: بناها عبد الرحمان الناصر وينحدر منها مجموعة من المدن

مدينة الزهراء: من أهم مآثر الناصر المعمارية مدينة الزهراء، بناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة، وقد كان الخليفة الناصر بطبعه كلفا بالبناء فرأى أن يؤسس

[1]- ابن خلدون، مصدر سابق، ص 144.

[2]- نفسه، ص 146.

ضاحية خلافية يقيم فيها قصرا يليق بجلال الخلافة وبهائها، فبنى المدينة على بعد خمسة أميال تقريبا الى الشمال الغربي من قرطبة.

أما اسم المدينة فقد سمي بالزهراء نسبة للقصور الزاهرة التي أسسها الخليفة في هذه المدينة، أو بسبب غرسه لجبل قرطبة الذي تقع المدينة على سفحه، تينا ولوزا، وتفتح الأشجار زمان الأزهار.[1]

وقد شرع الناصر في بنائها في محرم عام (325هـ/ 936م) وجلب اليها عبد الله بن يونس عريف البنائين وحسن القرطبي وعلي بن جعفر الاسكندراني الرخام الابيض من المرية، والرخام المجذع[2] من رية والرخام الوردي والأخضر من افريقية إسفاقسوقرطاجنة وأسس قصره الخلافي وكان يتمثل على مجالس منها المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس وقد زينه الخليفة بحوض منقوش مذهب جلب من القسطنطينية وكان يزدان بنقوش آدمية محفورة،ولما نصبه في وسط هذا المجلس نصب عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس،[3] وكان يعمل في بنائها كل يوم من الخدم عشرة الاف رجل ومن الدواب الف وخمسمائة دابة، أما المجلس الثاني المسمى بقصر الخلافة فكان سمك جدرانه من القراميد المذهبة والرخام الغليظ في جرمه، الصافي لونه وكان ينفتح في كل جانب من جوانب هذا المجلس ثمانية أبواب انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرصع بالذهب وأصناف الجوهر، قامت على أعمدة من الرخام الملون والبلور الصافي.[4]

ولم يتم بناء الزهراء في حياة الخليفة عبد الرحمان الناصر وانما استمر البناء في عهد الخليفة الحكم المستنصر من بعده فأتمها سنة 365هـ، ولم يتح لهذه المدينة الخلافية أن

---

[1]- المقري، مصدر سابق، ص 523.

[2]- المجذع: هو الذي حك فصار ذو اللونين بياض وحمر. أنظر: الفراهيدي، العين، دار صادر، بيروت، ج1، ص 43

[3]- المقري، مصدر سابق، ص 526.

[4]- بدر أحمد، **تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري، عصر الخلافة**، دمشق، 1974، ص 152

تنعم بالحياة طويلا، اذ انحدرت الى قبرها وهي في مقتبل عمرها وذلك عقب سقوط الخلافة بقرطبة.[1]

ثانيا: ذات الطابع العام

1-المدن:

شهدت الاندلس أثناء حكم بني أمية نهضة معمارية شملت مختلف النواحي، منها بناء المدن حيث امتازت هذه المدن بشوارعها الضيقة المنعرجة الملتوية وأزقتها المغلقة وميادينها القديمة، لذلك نلاحظ حولها من الابنية الكبيرة الفخمة وسط المنازل حيث زهت شوارع تمتد بضعة اميال بقناديل، وسنذكر نماذج للمدن التي بنيت أثناء العهد الاموي للأندلس[2]

أ_مدينة لوشة:[3] بناها الامير عبد الله بن محمد الخليفة الناصر سنة (288هـ/ 998م)، وهي بلد جليل كثير الخصب وتدفق المياه كثير الحصون والقرى.[4]

ب-مدينة أبدة: مدينة متوسطة اختطها الامير عبد الرحمان الاوسط أيام امارته بالأندلس وهي مدينة ذات زرع وضرع،[5] وفي رواية أخرى أوردت ان الامير عبد الرحمان الاوسط هو من اختطها وتممها ابنه محمد بن عبد الرحمن (207- 273/ 822- 886م).[6]

ج-مدينة مرسية: بنيت في عهد عبد الرحمان الاوسط الذي أولى بنيانها الى جابر بن مالك بن لبيد[7] بكتاب العهد الذي ورده يوم الاحد والأربع خلون من ربيع الاول سنة عشر ومائتين

---

[1]- رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص 217.

[2]- المقري، نفسه، ص 143.

[3]- لوشة: مدينة أندلسية غربي ألبيرة قبل قرطبة منحرفة سيرا، بينها وبين قرطبة عشرين فرسخا. أنظر: الادريسي، **نزهة المشتاق**، ج1 ص 259

[4]- المقري، نفسه، ص 143

[5]- ضرع: هي ثدي الحيوانات كالبقرة والناقة، لكن هنا تعني وجود زرع وتربية الحيوانات. أنظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص 279

[6]- الحموي، مصدر سابق، ص 34.

[7]- جابر بن مالك بن لبيد: هو عامل كورة تدمير في عهد عبد الرحمن الاوسط، ابن سعيد، **المغرب**، ج2 ص 202

فاتخذها جابر مدينة مرسية منزلا وجعلها للعمال والقواد موطنا.[1]

د- **مدينة مجريط:** بناها الامير عبد الرحمن الأوسط وهي من أحواز طليطلة، وهي مدينة متوسطة حصينة، اختطت بها وبنيت قلعة منيعة تشرف على الضفة اليمنى لنهر تاجة، فوق سطح جبل وادي الرملة شمالي طليطلة سنة (246هـ/ 860م) ومما يبدو وسبب بنائها كان جعلها قاعدة دفاعية أمامية تؤدي دورها المهم في الحروب التي نشبت بين المسلمين والنصارى في منطقة وادي الحجارة.[2]

2- الأرباض

الربض لغة واصطلاحا:

الربض لغة: تربض، ربضا، وربضة، وربوضا، وربضة حسنة.[3]

الربض اصطلاحا: هو سور المدينة ووسط الشيء وأساس البناء ومامس الارض من شيء ،وهو أيضا أساس المدينة، ونزلوا ربض المدينة والقصر أي ما حولها من المساكن.[4]

أرباض قرطبة:

شيد العرب عددا من الارباض في أغلب المدن الاندلسية ومنها مدينة قرطبة التي بلغ عدد ارباضها في الاتساع واحدا وعشرين ربضا، وفي كل ربض منها توجد المساجد والاسواق والحمامات، وكانت تلك الأرباض تحيط بقصبة قرطبة وهي كالآتي الجهة الغربية تحتوي على تسعة: وهي ربض حوانيت الريحان، ربض الرقاقين، ربط بلاط مغيث، ربض مسجد الشفاء، ربض حمام الالبيري، ربض مسجد الكهف، ربض مسجد السرور، ربض السجن القديم، ربض الروضة، أما الجهة الشرقية فتشمل سبعة ارباض وهي: ربض شبلار، ربض فرن بريل، ربض منية عبد الله، ربض البرج، ربض المدينة لعتيقة، وتضم المدينة

[1]- الحموي، مصدر سابق، ص 30

[2]- رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص 223.

[3]- ابن سيده، مصدر سابق، ص 450.

[4]- محمد بن محمد بن عبد الرزاق (الزبيدي)، **تاج العروس في جواهر القاموس**، تحقيق: علي الهلالي، الكويت، 1966، ص 520

العتيقة القصبة العتيقة ومركزها في حين تضم الجهة الجنوبية للمدينة ربضين ربض شقندة، ربض عجب، أما الجهة الشمالية فتشمل على ثلاثة أرياض: ربض باب اليهود، مسجد ام سلمة، الرصافة، ومما يرجع ان تسمية هذه الارباض نسبة الى جهة معينة أو شخص معين[1]

3-الحمامات:

أ- حمام قرطبة:

بني حمام بمحاذاة قصر الخلافة بقرطبة، فيه زخارف ذات عقود صغيرة مؤلفة من ثلاث فصوص مسنجة فوق أعمدة، والزخرفة تمت من الجص مدهونة باللون الاحمر والاصفر والاسود، كذلك به قطع اخرى على شكل شرفات صغيرة مسنجة على ارضية حمراء،ونقش كبير محفور بالخط الكوفي من الجص ذي أشرطة متشابكة، أما الجدران فقد احتوت على رسوم عبارة عن تشبيكات وازهاره[2]

وفي مدينة الزهراء حمامات، واحد للقصر خاص بالخليفة واولاده وحاشيته وخدمه، ومن ثم صنع الخليفة الناصر حوضا لاستحمامه أقيمت عليه تماثيل من الذهب الأحمر[3]

4- المقابر:

لغة واصطلاحا:

المقبرة لغة: قبرَ يقبُر، وقبور، ومقابر[4]

المقبرة اصطلاحا: موضع دفن الموتى، ويريدون الموضع الذي تجمع فيه القبور ، وتسمى أيضا الجبان أو الجبانة[5]

مقابر قرطبة:

---

[1]- رغد جمال العزاوي، المرجع السابق، ص ص 264- 265.

[2]- مورينيو ما نويل جوميث، **الفن الاسلامي في اسبانيا**، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة، مصر 1977، ص 199

[3]- رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص 246

[4]- الفراهيدي، مصدر سابق، ص 399.

[5]- الفيرز أبادي، مصدر سابق، ص 319.

تعددت المقابر في قرطبة، فكانت بجانبها الغربي مقبرتان: احداهما مقبرة عامر القرشي أو مقبرة قريش الواقعة خارج باب عامر، والثانية مقبرة متعة وكانت تقع على الشمال الغربي من مقبرة قريش، وفي ظاهر مدينة قرطبة من جهتها الشمالية كانت تقع مقبرة أم سلمة خارج باب اليهود والى الشمال من هذه المقبرة الاسلامية كانت تقع مقبرة اليهود وتعرف هذه المقبرة بقوت راشة.

أما من الشرق فكانت مقبرة البرج تقع غربي باب عباس بالقرب من السكة العظمى وفي الجنوب كانت المقبرة الكبرى المعروفة بمقبرة الربض، وبداخلها خصصت المدافن لقريش دفنت فيها شخصيات هامة كعقار جارية الامير محمد بن عبد الرحمان وفيها أيضا دفن الامير ابان بن عبد الله بن محمد،

كما اسس الامويون مقبرتين بقرطبة هما مقبرة مؤمرة جارية الامير عبد الرحمان الاوسط ومقبرة العباس، ولعل هذه الاخيرة هي نفسها مقبرة البرج الواقعة قريبا من باب عباس أحد أبواب محلة الشرقية.

5- السجون:

السجن لغة: سجنه، أسجنه، سجنًا حبيسه السجن[1]

اصطلاحا:المحبس أو السجن، الحبس والسجن البيت الذي يحبس فيه السجن.[2]

سجون قرطبة:

كان سجن قرطبة في أيام الامير عبد الرحمان الداخل يقع على النهر بالقرب من باب القنطرة، وكان السجناء يخرجون منه إلى النهر مع الموكلين بحراستهم، وفي هذا السجن حُبِسَ "أبو الأسود بن يوسف الفهري" فترة، ثم تمكن من الفرار منه. إلى طليطلة عن طريق سرداب يصل بين السجن والهبط وهو الجزء المنخفض من من شاطئ النهر.

[1]- الفيرزأبادي، المصدر السابق، ص 493.

[2]- ابن سيده ، المصدر السابق، ص 493

وأورد ابن القوطية اسم حبس بقرطبة يقال له الدويرة وذلك في عهد الأمير الحكم الربضي ولعل هذا الحبس نفسه السجن القديم الذي سمي به أيضا ربض المدينة الغربية، وذلك راجع لأن حركة التجديد والتطوير في رسوم الدولة التي اقترنت بعصر عبد الرحمن لم تكن قد نشطت بعد.[1]

وقد ظل حبس الدويرة قائما في عصر الخلافة بدليل أن اسمه ورد في احداث المستنصر، وكان بقصر قرطبة سجن آخر يعرف بدار النقيقة، وفيه حبس الأمير عبد الله بن محمد أخاه "القاسم"، وبعد ذلك نقله إلى حبس الدويرة.

أما السجن المستحدث في زمن الدولة الأموية فهو المعروف بالمطبق، وفيه قال هاشم بن عبد العزيز وزير الأمير محمد بن عبد الرحمان عندما سجن فيه الأمير المنذر:

وإني عداني أن أزورك مطبق ... وباب منيع بالحديد مضبب.

وفيه سجن جعفر بن عثمان المصحفي، وقد عرف هذا السجن أيضا بسجن العامرية، وكان يقع داخل قصر قرطبة، وفيه أمر الأمير عبد الله بن محمد بسجن ابن أخيه هشام بن محمد، مروان بن عبد الملك، سعيد بن وليد الشامي، أحمد بن هشام بن عبد الرحمان وموسى بن محمد بن زياد.

سابعا: الأرصيفة والقناطر:

الرصيف لغةً: "رصفَ، أرصاف، رصيف، رصائف".2

الرصيف اصطلاحًا: هي حاجز من البناء يمتد على جانبي الطريق محدثة، وحاجز من البناء الوثيق.3

أما القنطرة لغةً: "من قنطرَّ، يقنطَر، قنطرة، وقنطر الرجلُ ترك البدو".

---

[1]- ابن القوطية، مصدر سابق، ص 65.

[2]- ابن منظور، مصدر سابق، ج1، دار صادر، بيروت، 2000، ص 223.

[3]- رغد جمال العزاوي، المرجع السابق، ص 97.

القنطرة اصطلاحًا: "القنطرة المعروفة وهي كالجسرتبنى بالآجر والحجارة.[1]على الماء للعبور عليها، والقنطرة ما ارتفع عن البنيان ونحوها مما يعبر عليه، وهي وضفة النزعة والحد الفاصل بين أرضين".[2]

أ- رصيف قرطبة:

حرص أمراء بني أمية على ترميم الأرضية الرومانية القديمة عن طريق تجصيص الأرض بصفائح الحجارة وتبليطها وإنارة الطرق، كما سعوا إلى بناء أرصفة جديدة كالرصيف الذي يربط بين قرطبة والزهراء، وكان مرصوفا بالحجارة، فضلا عن الرصيف المحدث الذي يحف بالضفة اليمنى لنهر قرطبة، ويمتد للناحية الغربية للقصر ويعرف هذا الرصيف برصيف "القصابين" الذي عاود الأمير عبد الرحمان الأوسط بناءه سنة (212هـ_ 872م) وعمل عليه السقاية.

كما شرع الخليفة الناصر في رجب سنة (330هـ_ 941م) في رصف الرصيف الممتد ما بين قصره بمدينة "الناعورة" وعدوة نهر قرطبة إلى باب قصره بقرطبة.3

ب- قنطرة قرطبة:

تقع شمالي باب قرطبة الجنوبي، وكانت هذه القنطرة قائمة من بناء الامبراطور أوغسطس قيصر، وظلت قائمة تؤدي وظيفتها حتى أواخر أيام دولة القوط الغربيين، ثم تهدمت قبل الفتح الاسلامي بقليل، وسقطت حناياها ولم يبق منها سوى دعائمها الراكبة في النهر، ويذكر ابن عذاري أن المسلمين: "إذ فتحوا قرطبة وجدوا بها آثار قنطرة فوق نهرها على حنايا وثائق الأركان من تأسيس الأمم الدائرة، قد هدمها مدود النهر على مرّ الأزمان"، وظلت كذلك إلى أن كانت ولاية السمح بن مالك الخولاني فكتب إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز يستشيره ويعلمه "بأن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها، وكان لها جسر يعبر عليه نهرها، ووصفه بحمله وامتناعه من الخوض الشتاء عامة، فإن أمرني أمير المؤمنين ببنيان

[1] – ابن منظور، مصدر سابق، ص 118.

[2]– الفيرو أبادي، مصدر سابق، ص 254.

[3]– ابن حيان، مصدر سابق، ص 323.

سور المدينة فعلت، فإن قبلي قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجند و نفقات الجهاد، وان أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم" فأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ببنائها بأحجار السور المتخرب فرمم القنطرة سنة 101هـ.[1] ترميما حسنا حتى أصبحت إحدى مفاخر قرطبة، وقد وصفها الادريسي بقوله: ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخرا في بنائها واتقانها وعدد قسِّيها 17 قوسا بين القوس والقوس خمسون شبرا، وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبرا، ولها ستائر من كل جهة تستر القامة، وارتفاع القنطرة من موضع المشي الى وجه الماء في أيام جفوف الماء وقلته ثلاثون ذراعا، وإذا كان السيل بلغ الماء منها نحو حلوقها.

وقد تعرضت القنطرة لإصلاحات عديدة، بسبب مدود النهر وعنف السيول ففي سنة 161هـ

"حمل نهر قرطبة حملا عظيما حتى سد حنايا القنطرة وهدم بعضها وزلزلها." فتولى الامير هشام مهمة ترميمها بنفسه، وانفق في اصلاحها أموالا عظيمة، كذلك أصيبت بوابل سنة 182هـ ومرة ثالثة سنة 288هـ وافاها سيل جارف اغتصت به حلاقيم القنطرة وتثلمت بعض أرجلها.[2]

وفي سنة 296هـ تعرض نهر من جديد لمد هائل، وفي عصر عبد الرحمان الناصر شملت قنطرة قرطبة بسبب من نهر قرطبة في سنة 331هـ، وفي سنة 334هـ أيضا.

وقد قام الناصر بإصلاحها، لكنها لم تلبث أن أصيبت بعد وفاته بعام واحد بسبب مد نهر قرطبة سنة 351هـ فرممها الخليفة الحكم في 5 ذي القعدة سنة 360هـ وأمر ببناء سد محكم الصناعة استخدم في بنائه صم الصخور والرمال، وذلك على حاشية النهر ليصرف جريان الماء في هذه الجهة ويتهيأ له أن يكشف عن الأرجل التي أثر فيها الماء على تطاول الامد،

[1]- رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص 275

[2]- نفسه، ص 275.

فكشف حبسها ورممها وكان الخليفة يتولى نفسه الاشراف على هذه الأعمال، أو يطل على القائمين به من على اعلى باب السدة من قصر قرطبة.[1]

وكان يتم الاتصال بين قرطبة وربضها القبلي في الاوقات التي تصاب فيها القنطرة بسبب المدود والسيول يتم عن طريق مراكب أو معديات.

وقد تعرضت القنطرة بعد سقوط قرطبة في أيدي القشتاليين لإصابات عديدة ورممت في سنوات عديدة، بحيث أصبحت تؤلف مجموعة من الأبنية التي لا تربطها أي وحدة أو أي طابع.[2]

المبحث الثاني: العمارة الدينية

أولا :المساجد والجوامع

المسجد والجامع لغة واصطلاحا:

المسجد لغة: من السجود-سجد-يسجد-سجودا إذا وضع جبهته بالأرض والساجد المنتصب.[3]

المسجد اصطلاحا: اسم جامع من يجمع المسجد، وحيث لا يسجد أن يكون اتخذ لذلك، فأما المسجد من الأرض هو موضع السجود نفسه وكل موضع للتعبد.[4]

الجامع لغة: جمع-جمعت أمري وأجمعه وأجمعته.[5]

الجامع اصطلاحا: الذي يجتمع فيه الناس، ويوم الجمع كيوم القيامة لاجتماع الناس فيه.[6]

---

[1]- ابن عذاري، مصدر سابق، ص 169.

[2]- رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص ص 277_288.

[3]- ابن سيده، مصدر سابق، ج3، ص165.

[4]- الفراهيدي، مصدر سابق، ص464.

[5] - ابن سيده، نفسه، ج1، ص264.

[6] - ابن منظور، ج12، ص358.

ويعد المسجد مظهرا من مظاهر العمارة الدينية، وله منزلة خاصة في نفوس المسلمين، وهو مركز إديني وعلمي واجتماعي، وهناك عدد من الآيات القرآنية التي تحث على أهمية المسجد في الإسلام "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكا ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين"[1] وذلك راجع لاهتمام الولاة والحكام والأمراء بهذا الجانب من العمارة.[2]

ثانيا: اهم مساجد و جوامع الاندلس خلال العهد الاموي

1-جامع جيان[3]*:

كان هذا للأمير عبد الرحمن الثاني ولع خاص ببناء المساجد، ومنها المسجد الجامع في جيان على يد عامله على المدينة الذي بني سنة 210هـ/825م.

وجامع جيان مشرف يصعد إليه على درج من جميع النواحي، وهو مكون من خمسة بلاطات على أعمدة من رخام، وله صحن كبير حوله سقائف، وهو من بناء الإمام عبد الرحمن على يد مسيرة* عامل جيان.[4]

2-جامع عمر بن عدبس بإشبيلية:

أمر الأمير عبد الرحمن الأوسط قاضيه عمر بن عدبس بتشييد هذا الجامع سنة 214هـ (829م-830م) وقد سجل تاريخ انشائه في نقش كوفي على بدن عمود من الرخام نصه:

---

[1] – سورة التوبة الآية 18.

[2] – رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص13.

[3] _ جيان: مدينة لها قرى واسعة في الاندلس تتصل بكورة ألبيرة مائلة عن البيرة الى ناحية الجرف في شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة 17 فرسخا، ابن جبير، الرحلة، ص95

* – مسيرة: هو احمد بن سعيد بن مسيرة عامل كورة جيان في عهد الامير عبد الرحمن الأوسط، ابن الفرضي ،ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي، **تاريخ العلم والعلماء بالأندلس** (ت1403)، نشر: عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي القاهرة، 1954، ج1، ص210.

[4] –ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص75.

"يرحم الله عبد الرحمن بن الحكم الأمير العدل المهتدئ الآمر ببنيان هذا المسجد على يدي عمر بن عدبس قاضي إشبيلية في سنة أربع عشرة ومتين، وكتب عبد البر بن هرون".[1]

ويتميز هذا الجامع عن جامع الداخل بقرطبة في أنه لم يضف إليه إضافات بل ظل يحتفظ بمساحته الأولى حتى ضاق بعد مضي ثلاثة قرون من انشائه وأصبح لا يتسع لجميع المصلين، فأقام الموحدون جامع القصبة الكبير بإشبيلية بالإضافة إلى هذا، وكان هذا الجامع يشبه جامع قرطبة في نظامه العام وفي عدد بلاطات، فقد كان يشتمل على أحد عشر بلاطا تتجه عمودية على جدار القبلة، وكان بلاطه الأوسط أكثرها انتساعا وارتفاعا، وكان طول جدار القبلة يتراوح ما بين 48-50مترا.

وكانت لهذا المسجد مئذنة تنتصب في منتصف الجدار الشمالي، وكانت مربعة من الخارج مستديرة من الداخل، وكان يبلغ طول كل جانب من جوانبها الأربعة 5.88 مترا، وعلى هذا فنظامها يشبه نظام المآذن القرطبية التي ترجع إلى عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، إذ يفصل بين المركز الأسطواني والجدران الخارجية درج يبلغ عرضه 80سم، وكان صحن المسجد مغروسا بأشجار البرتقال والنارنج، تتوسطه خصة من الرخام تنبثق منها نافورة، وقد أصيب الجامع ببعض الأضرار أثناء غارة النورمانديين على إشبيلية سنة 230هـ-844م ثم أصيب سنة 472هـ-1079م بزلزال هدم الجزء الأعلى من مأذنته فجددها المعتمد بن عباد.[2]

3-مسجد مالقة:

بناه الفقيه المحدث معاوية بن صالح الحمصي[3] الذي كان حاضرا في واقعة مروان بن

---

[1] - ocana jemenez, la inscripcion fundacional de la mezquita de ibn adabbas en seuilla, al andalus, vol xii, fasc, i, 1947, pp145-151.

[2] - السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص401.

[3] - الحمصي: هو معاوية بن صالح بن حدير بن سعيد بن فهر الامام الحافظ الثقة قاضي الاندلس، خرج من الشام الى الاندلس واصبح قاضيها (انظر الذهبي، **سير اعلام النبلاء**) ، تحقيق نعيم العرقسوسى، الرسالة، بيروت، 1413هـ، ج2، ص ص12-25

محمد، ولكنه استطاع الفرار ولجأ إلى الأندلس فبنى مسجدا في مالقةبقصبتها من خمسة بلاطات.[1]

4-مسجد ألمرية:

بني مسجد ألمرية في عهد الخليفة الناصر وعندما بنى مدينة المرية، دارت في فكره تشييد مسجد للمدينة تقام فيه الصلوات وعقد الاجتماعات، "بنيت أعمدة المسجد من الطابية على شكل صفوف في كل صف منها سبعة بلاطات وكان البلاط الجانبي أكثر تطرفا، ويقابله في الجانب الآخر بلاط مماثل، يتجاوز في اتساعه البلاط الأوسط، الذي كان أكثر بلاطات الجامع اتساعا".

كانت الأسس الظاهرية للبلاط تدعم الجدران الخارجية، مع آثار مداخل جانبية للمسجد، وتمتاز زخارف المسجد في تكويناتها الزخرفية بالورقة المصبعة.

ويشغل اسطوان محراب المسجد الجامع في المرية الذي يميل بزاوية قدرها 15° درجة نحو الشرق، ويبلغ ارتفاع الجزء الخارجي الشرقي لبيت الصلاة حوالي 5.40 سم فوق مستوى أرضية المحراب، وينفتح من المحراب الغربي باب سعته 1.05 سم وفي الجهة الشرقية منه باب اتساعه 1.34م، أما مئذنة الجامع كانت تقوم في جوفي الجامع تقريبا في منتصف المجنبة الشمالية.

5-جامع غرناطة:

من جوامعها المسجد الجامع في البيرة الذي بناه الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الثاني، وتم بناؤه على يد عامل كورة البيرة عبد الله بن عبد الله.[2]

وفي سنة 205هـ-864م.[2]

---

[1] – رغد جمال الغزاوي، مرجع سابق، ص21.

[2]– هو عبد الله بن عبد الله بن ثابت الأموي يكنى أبا محمد من أهل طليطلة وهو عامل مدينة البيرة، أنظر: ابن شكور – الصلة، ج1، ص76

6-مسجد الزهراء:

لقد شيد الخليفة الناصر مسجد الزهراء في مدينة الزهراء، بلغ طوله من القبلة إلى الجوف حوالي ثلاثون ذراعا "حاشا المقصورة" "وعرض البهو" الأوسط من ابهائه من الشرق إلى الغرب ثلاثة عشر ذراعا[1]

أما صحن المسجد المكشرف طوله من القبلة إلى الجوف ثلاثة واربعن ذراعا وعرضه من الشرق إلى الغرب حوالي احدى واربعين ذراعا وفرشت أرضه بالرخام وعمل في وسطه نافورة يجري فيها الماء، أما صومعة المسجد عرضها عشرة أذرع في مثلها وطولها في الهواء أربعون ذراعا.

أمر الخليفة الناصر لدين الله ببناء منبر بديع لمسجد الزهراء فصنع في غاية الحسن وقد وضع في موضعه يوم الخميس لسبع بقين من شبعان سنة 329هـ-941م أما محراب المسجد كان بارزا خارج جدار القبلة وبلاطاته، معقودة ذات عقود وتيجان عجيبة الصنعة، والمقصورة خارجة من بيت الصلاة من جهة القبلة وكان يعمل فيه حيث تبرع ببنائه كل يوم ألف رجل منهم 30 بناء و200 نجار و500 من الأجراء وسائر الصناع، فتم بنيانه واتقانه في مدة ثمانية واربعين يوما.[2]

7-جامع بطليوس:[3]

حظيت هذه المدينة بمسجد بناه عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي،بإذن من الأمير عبد اللهله في ذلك "فأنفذ جملة من البناة والفعلة وقطعة من المال، فشرع في بناء

[1] – الذراع: يعني الثني بذراع اليد، مجموع عرض كل 6شجيرات يسمى اصبعا والقبضة على 4 اصابع والذراع 6 قضيبات وكل 10 اذرع تسمى قصبة وكل 10 قصبات تسكى اشلا ويختلف الذراع عند المذاهب ففي الحنفية 46.375 سم والمالكية 53 سم والشافعي والحنابلة 61.834 سم أنظر الفيرواباي مصدر سابق ص282

[2] – المقري، مصدر سابق، ص ص 100-564.

[3] – بلطيوس: **من اقليم ماردة بينهما اربعون ميلا**، أنظر الحموي، مصدر سابق، ص133

الجامع باللبن[1] والطابية[2]

بني عبد الرحمن الجليقي صومعة الجامع الخاصة بالحجر واتخذ مقصورة، وبنى مسجدا خاصا بداخل الصحن، وأبتنى الحمام الذي على باب المدينة واقام البنأة عنده حتى ابتنوا له عدة مساجد.[3]

وقد اهتم ابن الجليقي بالبناء الحربي، فقد حرص على إقامة مسجد خاص داخل القصبة لأنصاره وجنده، ولم يكن المسجد ومسجد الحصن المسجدين الوحيدين بالمدينة.[4]

8-مسجد الباب المردوم بطليطلة:

على الرغم من صغر مساحة هذا المسجد فإنه يعتبر أهم مساجد الأندلس بعد جامع قرطبة، لاحتفاظه بقباب تسعة، قائمة على الضلوع المتقاطعة تمثل أولى مراحل التطور التي مرت بها قباب جامع قرطبة، وعرف بهذا الاسم نسبة إلى باب مجاور ل يعرف باسم الباب المردوم، ويعلوا واجهة الجامع نقش كتابي تاريخي من قطع آجرية بارزة في افريز يقع بين صفين من الاسنة البارزة من نفس هذه المادة ونصه "بسم الله الرحمن الرحيم أقام هذا المسجد أحمد بن حديدي[5] من ماله ابتغاء ثواب الله فتم بعون الله على يد موسى بن علي البناء وسعادة، فتم في المحرم سنة تسعين وثلاثمائة.[6]

---

[1]- اللبن: أو اللبنة التي يبني بها وهي مربعة من طين، والجمع لبن واصل لبنتين التربيع وقد لبنتها، ابن سيده، المحصف س1، ج1، ص450

[2]- الطابية: بالاسبانية Tabia بناء من التراس المخلوط بالكلس وصانعها يسمى الطواب، للمزيد أنظر ابن خلدون **المقدمة**، ص408

[3]- السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ بطليوس الاسلامية وغرب الاندلس في العصر الاسلامي**، مطلعة الانتصار الاسكندرية، 1979، ج2، ص248-258.

[4]- رغد جمال الفراوي، مرجع سابق، ص74.

[5] - احمد بن حديدي: كان قاضي طليطلة في ذلك الوقت، وهو من اسرة معروفة في مدينة طليطلة، والذي قتل سنة 467-472هـ.

[6]-ابن الخطيب، مصدر سابق، ص207.

والمسجد مربع الشكل على نظام الكنائس البيزنطية لا يتجاوز طول الجانب منه ثمانية أمتار وقد شيدت جدرانه من الحجر الجرانتي والآجر وفقا للأسلوب الذي اختص به طليطلة، ويتكون من ثلاثة أروقة طويلة تقطعها ثلاثة أروقة عرضية بحيث يحدث ذلك التقاطع تسعة أساطين، تفصل بينها أربعة أعمدة يتجانبها قوطية قديمة يتفرع منها اثناعشر قوسا على شكل حدوة الفرس.[1]

ويعلو كل أسطوان من الأساطين التسعة قبة تتقاطع فيها الأقواس إلى نحو ما رأيناه في قباب قرطبة، والقبة الوسطى أكثرهم ارتفاعا، وتطام التقتبب يقوم على تقاطع الضلوع المتجاورة في صور مختلفة، منها ما يمثل شكلا رباعيا منحرفا ذا أقطار، بحيث يبدو كما لو كان قبوتين من الطراز القوطي إحداهما داخل الأخرى ومنها ما يبدو على شكل مثمن، ومنها ما يقلد تقاطع القبة المخرمة الكبرى، بجامع قرطبة، وتعرض قباب جامع باب المردوم تطورا لقباب قرطبة نحو الزخرفة، أما واجهة المسجد الرئيسية وهي الواجهة الجنوبية الغربية فتطل على الطريق المؤدي إلى باب المردوم بثلاثة عقود، وهي القوس الأيمن من هذه الأقواس متجاوز على شكل حدوة الفرس، والقوس الأيسر مفصص أما الأوسط فمجدد، ويعلو الأقواس الثلاثة التي تعتبر أبوابا لبيت الصلاة بائكة صماء من أقواس متقاطعة ويتوج هذه البائكة الزخرفية إفريز بداخله شبكة مخرمة من المعنيات، أما الواجهة التي تطل على صحن المسجد فتتألف من ثلاثة عقود متجاوزة بمثابة أبواب تعلوها ستة أقواس متجاوزة صماء يتناوب فيها اللونان الأبيض والأحمر نتيجة تعاقب قوالب الحجر والآجر على نظام أقواس جامع قرطبة.[2]

[1] –السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)**مرجع سابق، ص 403.

[2] – نفسه، ص ص403–404.

9-جامع طرطوشة:[1]

بن الخليفة الناصر لدين الله جامعا في طرطوشة مكون من خمسة بلاطات، وله رحبة واسعة بناه سنة 345هـ-956م.[2]

10- جامع سرقسطة:

بنى جامع سرقسطة حنش الصنعاني وعلي بن رباح اللخمي البصري، بنى محرابه من حجر واحد من الرخام الأبيض، وقد صنع بأغرب الصناعات وأبدع التخريم وعليه محارة متقنة الشكل وليس في الأرِض محراب مثله.

وإلى جانب جامع سرقسطة هناك مسجدان آخران أسسهما كذلك حنش الصنعاني حيث أسس الأول في حاضرة ألبيرة،[3] على مقربة من غرناطة في أدنى جبل ألبيرة، وأسس الآخر في سرقسطة وسمي بالمسجد الأبيض وذلك ربما لانه بني من رخام أبيض.

ثم توالت عليه الزيادات والتجديدات فأصبح من اهم مساجد الإسلام، فهو مؤلف من صالة بسيطة مربعة مغطاة بقبة ومزينة بزخرفة غزيرة.[4]

---

[1]- طرطوشة: مدينة اندلسية تتصل بكورة بلنسية وتقع شرقي بلنسية وقرطبة من البحر مبنية على نهر ابره لها ولاية واسعة، انظر المقدسي، **احسن التقاسيم**، ص81.

[2] - الحميري، مصدر سابق، ص181.

[3]- ألبيرة: من كور الاندلس، جليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب، انظر الحموي مصدر سابق، ص133.

[4] - رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص ص79-80.

المبحث الثالث: العمارة الحربية

أولا : الأسوار[1]

1-سور الجزيرة الخضراء

عمل الناصر على تحصين سواحل ثغور المنطقة الجنوبية، لأنها كانت تتعرض باستمرار لهجمات خاصة من قبل الفاطميين، حيث ذهب بنفسه إلى الجزيرة الخضراء سنة 302هـ-914م حيث أشرف على اتقان بنائها وعلى أسوارها.

ولعل من أسباب اهتمام الناصر بناء سور هذه المدينة هو موقعها الجغرافي الذي يجمع بين البر والبحر، حيث توسطت مدن الساحل في الأندلس.[2]

2-سور ألمرية:

لها سور بناه الناصر عليها من الصخر المنيع سنة 343هـ-954م، ومن ثم قد سور ربضها الشرقي، واتصل سور الربض بالمدينة، لأن الربض الغربي كان مسورا، وينبثق هذا السور من منتصف السور الشمالي للقصبة ويمضي في اتجاه الشمال الشرقي ثم يهبط إلى خندق باب موسى، ثم يأخذ بالارتفاع في الشمال الشرقي إلى السطح الجنوبي لحبل لاهم،[3] ثم ينحرف إلى أن يصل إلى باب بجانة، ومن ثم يصل نقطة التقاء السور الشرقي للربض بالسور القبلي ويقل إلى البحر ويبلغ طول الأسوار نحو 440 متر بارتفاع يصل إلى خمسة أمتار.[4]

---

[1]- السور: سورة، تسوير، والسور حائط المدينة ونحوه، تسورت الحائط وسرته سورا، انظر ابن منظور، مصدر سابق، ص384.

[2] - الحميري، مصدر سابق، ص223.

[3]- لاهم: احد جبال الاندلس، والذي يحيط بمدينة المرية، انظر: الادريسي، **نزهة المشتاق**، ج1، ص181

[4]-احمد ابو الفضل، **تاريخ مدينة المرية الاسلامية في العصر الاسلامي**، مطبعة جامعة طنطا، 1986، ص ص174-175.

3-سور إشبيلية:

أولى الحكام الأندلسيون اهتماما كبيرا بأسوار إشبيلية فقد بنى عبد الرحمن الأوسط سور إشبيلية، بسبب تغلب النورمان عليها عند دخولهم في أيامه،فذعر الناس، وفروا بين أيديهم، وأخلى إشبيلية، كما أن هناك اختلافات حول سنة بنائه، إلا أن ابن القوطية يرجح سنة 300هـ-844م.[1]

4-سور قرطبة:

كانت قرطبة محاطة بأسوار مبنية من الحجر الجيري، وبين مدينة وأخرى سور حاجز، وكثيرا ما كان يتعرض السور للهدم والتآكل وذلك بسبب مناخ قرطبة الرطب وأرضها الخصبة وكما أنها تقع على نهر دائم الفيضان هذا ما أدى حكامها للاهتمام المتزايد إلى متابعة سورها، فقد أمر الأمير عبد الرحمن الداخل سنة 148هـ-765م بإصلاح ثغور الأندلس، وبناء أسوارها وفي سنة 149هـ-766م هاجت فتنة البربر بقرطبة، فبنى الأمير سورها، وكان مبنيا من قطع الحجارة المنظمة، فبلغ محيطه حوالي أربعة وعشرين ميلا وهو على شكل متوازي الأضلاع.[2]

بنى الحكم بن هشام الربضي في سنة 189هـ-804م سورا حول قرطبة وحفر حوله خندقا، وأطاح سور قرطبة وأحتفر حوله الخندق.[3]

ومن ثم تعرضت قرطبة لفيضان آخر سنة 382هـ-992م وحدث آخر سنة 401هـ-1010م وترتب عليه اغراق الربض الشرقي لقرطبة، وتهدم معظم أجزاء السور الجنوبي.

كانت أسوار قرطبة شكل شبه معين متوازي الأضلاع، ويتجه السور شرقا على طول نحو ألف ومئتي متر ثم يتجه إلى الجنوب في خط شبه مستقيم حتى يصل من جديد بالطرف

[1] - رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص ص104-105.

[2] - المقري، مصدر سابق، ص45.

[3] - الخندق: الحفر-جمع احفار، الحفيرة، انظر ابن منظور، مصدر اسبق، ص240

الجنوبي الشرقي، وهكذا فإن طول هذه الأسوار في جملتها لا يكاد يتجاوز أربعة كيلو مترات.[1]

5-سور طليرة:[2]

لقد شعر الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بأهمية مدينة طلبيرة بعد تعرضها للهجوم، فاضطر إلى بناء سور للمدينة سنة 241هـ-855م وأسكنها الناس لأنها كانت حاجزا بين المسلمين والإفرنج، وفي الوقت نفسه بنى سور على مدينة قلعة رباح[3] بسبب موقعها الجغرافي والذي يقع بين قرطبة وطليطلة اللتان تعدان أهم المدن الأندلسية آنذاك.[4]

6-سور وشقة:

بني سور مدينة وشقة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وورد كتاب الأمير محمد بأمره ببنيان سور المدينة في سنة 266هـ-879م، على يد عمروس بن عمر*.[5]

ثانيا: الحصون:

الحصن لغة: حصن، حصانة، حصنته، أحصنته وحصن حصين.[6]

الحصن اصطلاحا: كل موضع حصين، لا يوصل إلى ما في جوفه وهو الملاذ.[7]

---

[1] -المقري، مصدر سابق، ص46.

[2] - طلبيرة: من اعمال طليلطة، كبيرة قديمة البناء تقع على نهر تاجة، الحموي، نفسه، ج3، ص167.

[3] - قلعة رباح: من اعمال جيان وهي مدينة حصينة لها حصن حصين على نهر آنه، الحميري، الروض المعطار، ص469

[4] -رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص106-107.

*هو عمروس بن عمر، محمد عامل الأمير محمد على مدينة وشقة سنة 266هـ-876م العذري، مصدر سابق، ص63.

[5] -العذري، مصدر سابق، ص63.

[6] - الفراهيدي، مصدر سابق، ص192.

[7] -نفسه، ص192.

1-حصن طريف:

لقد أشرف الناصر ينفسه على بناء حصن مدينة طريف* في سنة 349هـ-960م.[1]

2-حصن الجزيرة الخضراء:

عرف الناصر باهتمامه الشديد بالعمارة العسكرية ومنها عمارة الحصون فقد بنى بالجزيرة حصنا، حيث كان يشرف بنفسه على أعمال البناء وذلك لإهتمامه بهذا الجانب من العمارة، وقد اهتم بتحصين الجزيرة الخضراء دون غيرها لأنها كانت الأكثر عرضا للهجوم لاسيما من قبل الخلافة الفاطمية.

3-حصن المنكب[2]

يعد حصن المنكب من حصون مدينة البيرة، وهو حصن منيع جدا وفيه آثار بنيان....، في حين بنى الخليفة الناصر ستة حصون في البيرة.[3]

4-حصن غرماج: لقد أقام قائد الحكم المستنصر محمد التجيبي[4] وقاسم بن مطرف* حصن غرماج سنة 354هـ-965م، وكان هذا الحصن مفتاحا دفاعيا حقيقيا للخط الاستراتيجي الدفاعي للمدينة، وقد كان الحكم المستنصر حريصا أشد الحرص على أن تكون الحصون الأندلسية في أحسن حالات المناعة والاستعداد، وكان يشحنها دائما بالمؤن والأسلحة.[5]

---

[1] -الحميري، مصدر سابق، ص 223.

[2] - المنكب: بلد على الساحل في جزيرة الأندلس من اعمال ألبيرة بينه وبين غرناطة، اربعون ميلا انظر الحموي، مصدر سابق، ص132

[3] -رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص ص112-113.

[4] - التجيبي: هو يحي بن محمد التجيبي من اهل قرطبة المحدث العالم، انظر: ابن الفرضي، مصدر سابق، ص211

[5] -المقري، مصدر سابق، ص383.

ثالثا : القلاع

القلعة في اللغة: جمعها قلاع –قَلعُ–قِلعُ–أقلعَ–أقلاعاً.[1]

القلعة في الاصطلاح: هي الحصن الممتنع في جبل صعبة لا ترتقي،وهي مكان يتخذه الأمراء لأنفسهم وجنودهم الذين يحاصرون بهم البلاد.[2]

كانت القلاع الأندلسية ذات جدران مدكوكة[3] مضغوطة في قوالب ويقوى أساس الجدران أحيانا بواسطة الحجر الغشيم وتعلو هذه الجدران شراريف.[4]

1- **قلعة جابر:** بنى الخليفة عبد الرحمن قلعة جابر، التي تقع بالقرب من إشبيلية،بنيت فوق ربوة عالية تشرف على المدينة، وتتكون من فنائين، وبمدخل كل منهما عقد عربي وحولهما الأسوار، ولم تبنى القلعة من الصخر كما هو المألوف لأن المنطقة ليست صخرية، إنما بنيت بمزيج من الطين والأحجار الصغيرة المدرجة، فالطين يؤدي عمل المادة الملاحمة وبالكبس والضغط ومرور السنين تتكون للطين نسبة مرتفعة من الصلابة وقد وصفها الشاعر عامر بن خدوش[5] القلعي وصفا رائعا:

ألا يا سقى الرحمن قلعة جابر **** فكم لي فيها من ليال زواهر

محلي الذي لازلت أشدو بذكره **** إذا أشدا مغرى بهند وساحر

فلله منها كل غصن وطائر **** ولله فيها كل خد وناظر

ضمنت لها أن لا تزال مدامعي **** على فقدها مثل السحاب المواطر[6]

---

[1] –ابن منظور، مصدر سابق، ص290.

[2] –نفسه، ص290.

[3] – مدكوكة: من الدكدك، والدكداك من الرمل ما تكبس واستوى، وقيل هو بطن من الأرض مستو وهي الأرض المرتفعة لإسناد لها، ابن منظور، مصدر سابق، ج1، ص424.

[4] – شراريف: شرافة المسجد كتفاحة، والجمع شراريف، الزبيدي، مصدر سابق، ج1، ص42–59

[5] – هو عامر بن خدوش القلعي: الأديب والشاعر، ابن سعيد، **المغرب**، ج1، ص212

[6] –حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، القاهرة، 1959، ص67.

2-**قلعة مدريد:** تعرف أيضا بقلعة مجريط التي بناها الأمير عبد الرحمن الثاني سنة 215هـ-830م بناها مهندسوه على طراز القلعة البيزنطية ولها جسر وسور مربع يحيط بها وقد بنيت على سفح الجبل، وهي مدينة وقلعة منيعة معمورة وكانت لها مسجد جامع وخطبة قائمة.[1]

3-قلعة وحصن ابن حفصون ببشتر[2]

بن الثائر عمر بن حفصو[3] قلعة محصنة في مدينة ببشتر واختارها لعدة أسباب منها المسافة التي بينها وبين قرطبة ثمانون ميلا، ليغير عليها وهي محاطة بصخور يصعب الوصول إليها، وتتوفر على كل مستلزمات العيش كالآبار وأشجار التين والكرز، وكانت صخرة صماء من جميع النواحي، وإذا تواصل المتوصل إلى أعلاه ألقاه سهلا منفسحا ورحبا منبسطا،وبقيت القلعة لأولاد عمر بن حفصون من بعده فعهد فيها لابنه جعفر وولاها[4] بعده ابنه الثاني حفص، فخرج إليه الناصر سنة 315هـ-927م فافتتح مدينة ابخش[5]

[1] -عمر فروخ، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط وفتح الأندلس الى آخر عصر الولاة، ط1، منشورات الكتب التجاري، بيروت، 1959، ص106.

[2] - بشتر: حصن منفرد بالامتناع، من اعمال رية بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخا، الحموي، نفسه، ج3، ص339

[3]- سبق وأشرنا اليه والى ثورته

[4]-الحميري، مصدر سابق، ص79-80.

[5] _ انجش: مدينة بالاندلس تقع قرب قلعة ببشتر، انظر ابن الخطيب، مصدر سابق، ص34

خلاصة الفصل الثاني :

لقد ارتأيت من خلال هذا الفصل الى أن الأندلس حظيت في العهد الاسلامي عامة والعهد الأموي خاصة بعدد من المنجزات العمرانية، حيث امتازت هذه الأبنية على العموم بالبساطة والجمال مع ادخال الطراز المشرقي الذي استقدمه عبد الرحمن الداخل خاصة عند إنشائه مسجد قرطبة الجامع، هذا بالاضافة الى ما تميزت به لمضافات و إنشاءات الحكام الامويين من بعده.

الفصل الثالث

مسجد قرطبة أنموذجا للعمارة الإسلامية بالأندلس

المبحث الأول: تأسيس المسجد الجامع وبناؤه

المبحث الثاني: سماته المعمارية والزخرفية

المبحث الثالث توسيعات المسجد خلال أطوار حكم بني أمية

المبحث الرابع: أثر المسجد الجامع في النظام التخطيطي للمساجد الجامعة في الأندلس

لقد بني المسجد الجامع بقرطبة في المدة التي كان فيها الفن الاسلامي يتسم بالرقي المعماري، وكانت الدولة في الأندلس على جانب كبير من الرخاء الاقتصادي، إذ توافر من المال والفن والرغبة في خلق آية من آيات الفن المعماري الاسلامي حتى أصبح هذا المسجد يضاهي بعظمته مساجد المشرق،ويقول عنه الحميري: "انه الجامع المشهور أمره، الشائع ذكره، من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة وإحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية، تهمم به الخلفاء المرانيون، فزادوا فيه زيادة، بعد زيادة، وتتميما بعد تتميم، حتى بلغ الغاية في الاتقان، فصار يُحار فيه الطرف ويعجز عن حُسنه الوصف، فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقًا وطولا وعرضا.[1] "

المبحث الأول: تأسيس المسجد الجامع بقرطبة وبناؤه

أولا: تأسيس المسجد الجامع بقرطبة

حظي المسجد الجامع بقرطبة باهتمام بالغ من قبل الحكام الأمويين من خلال ترميمه أو زيادته في أثناء فترات حكمهم، وكان هذا المسجد في الأصل كنيسة قوطية كبيرة للمسيحيين تعرف باسم سنت سنت أو شنت بجنت، وقد بقيت هذه الكنيسة على حالها بمقتضى العهد الذي تصالح عليه النصارى مع المسلمين. فانقسم أهل قرطبة الى مستعربين ومسيحيين ومسالمة.[2]

فكان من الطبيعي أن يتقاسموا كنيستهم، بحيث يتمكن المسالمة من التكيف حسبما يتطلبه الدين الجديد، مثلما فعله القائدان أو عبيدة بن الجراح و خالد بن الوليد بعد مشاورة رأي الخليفة الراشدي الثاني، من مشاطرة الروم كنائسهم في الشام مثل كنيسة دمشق التي فتحت صلحا، لذلك شاطر المسلمون نصارى قرطبة كنيستهم العظمى، وبنوا مسجدا جامعا بسيط البناء، ولتأدية الصلاة في مكان خاص لهم.[3]

[1] الحميري، مصدر سابق، ص 153.

[2]– المسالمة : في اللغة اسم من المصالحة بعد النزاع، وقبل المناحرة، أي المسالمة، قبل المعادية في القتال. أنظر: الفيروزابادي مصدر سابق، ص 63.

[3]– ابن عذارى، مصدر سابق، ص 229.

أسس كل من حنش الصنعاني و أبو عبد الرحمن الجبلي[1]، وهما رجلان من التابعين مسجد قرطبة، وقوما محرابه بأيديهما، في حين بقي الشطر الآخر بأيدي النصارى، وأصبح كل منهم يؤدي شعائره الدينية، ومن ثم بدأ المسجد يضيق بالمصلين، لاسيما بعد تزايد أعداد القادمين الى قرطبة حاضرة الأندلس، حتى اضطر الى تعليق سقيفة بعد سقيفة يستظلون بها من حر الشمس فضلا عن المشقة والتعب لكي يصلو الى داخل المسجد لتلاصق السقف وقصر الأبواب، كما بقيت الكنيسة على حالها من عهد الأمير عبد الرحمان الداخل.[2]

ثانيا : بناء المسجد الجامع بقرطبة

انشغل الامير الداخل في بداية توليه الحكم بالقضاء على الفتن والاضطرابات، إلى أن تمكن في أواخر أيام حياته من بناء مسجد قرطبة الجامع، ثم واجهت الامير مشكلة موقع المسجد والكنيسة، حتى بدأ امر بمعالجة أمر المسجد فأحظر رؤساء النصارى وساومهم على بيع ما بقي بأيديهم من كنيسة شنت بجنت من اجل البناء وابذل لهم العطاء، لكنهم رفضوا في البداية ثم استجابوا لطلبه مقابل السماح لهم ببناء كنيستهم التي هدمت خارج المدينة، والتي تعرف باسم شنت أجلح فمنحهم الأمير الداخل مائة ألف دينار بعد تهديم الكنيسة والمسجد القديم، فبلغت النفقات حوالي ثمانون دينار.[3]

وأوردت الروايات التاريخية أن الأمير عبد الرحمن الداخل عهد الى الوزير عبد الله بن خالد[4] سنة 164هـ/ 780م أن يعيد بناء المسجد الجامع في قرطبة، و ذكر في موضع آخر شروع الداخل في هدم الكنيسة وبناء المسجد سنة 169هـ/ 785م، وتم بناؤه وكملت بلاطاته واكتملت أسواره في سنة 170هـ/ 970م وذلك مدة عام واحد.[5]

---

[1]- أبو عبد الرحمن الجبلي: هو عبد الرحمن تابعي دخل الاندلس مع حنش الصنعاني وهو من التابعين، أنظر: ابن حزم، مصدر سابق، ص 17

[2]- مورينو، مرجع سابق، ص 172

[3]- ابن عذارى، مصدر سابق، ص 129-130.

[4]- عبد الله بن خلاد: هو عبد الله بن محمد بن ادريس بن عبيد الله بن يحي بن عبد الله بن خالد السلمي من اهل قرطبة، أنظر: ابن بشكوال، **الصلة**، مج1، ص 78.

[5]- مورينو، مرجع سابق، ص 24_ 35.

أمر الأمير عبد الرحمن بالزيادة في المسجد فتمت في أيامه إلا يسيرا فأتمه الأمير محمد، ولقد راعى مهندسو المسجد الأسس البنائية في اختيار موقعه، وأفضل أصناف مواد البناء وأجودها، وادخال الجمال والزينة عليه من انواع الزخارف والنقوش النباتية والحيوانية المميزة والمعبرة للمعاني والقيم، والذوق العربي الاسلامي، كما اهتموا أيضا باختيار أمهر المهندسين والمعماريين والفنانين والنحاتين والعمال وابدعهم مستعينين ببعض المعماريين القوط وبأطلال المعابد القديمة لإنجاز هذا البناء.[1]وهو يقع فوق بقعة صخرية في نهاية جنوب غربي قرطبة قرب القنطرة العربية القديمة، الواقعة على نهر الوادي الكبير،[2] وتحيط به الدروب الضيقة من جهاته الأربعة وبنيت جدرانه من الحجر الجيري اللين والمائل الى الاصفرار، في كتل مثبتة على جوانبها الطولية والعرضية بصورة متعاقبة، حيث تمتد الكتل المثبتة عرضيا في الجدار من جانب آخر، والكتل الموضوعة طولا تثبت، بحيث يلتصق وجه كل منها بوجه الآخر ولهذا التنظيم البنائي ميزة، يعطي مظهرا تام الانسجام ويتطلب جهدا قليلا في نقل الاحجار،وامتاز المسجد بالشكل الرباعي ذا جهات قليلة الارتفاع، متحدة المظهر، وقد وضعت بين مسافات وأخرى دعائم تشبه الأبراج، يتخللها باب كبير تزينه زخارف رائعة مزدوجة، وتبلغ مساحة البناء حوالي 76.7م X 75.73م.[3]

[1] – محمد ايوب الغرناطي: ابن غالب نص جديد من كتاب حركة الأنفس، تح: لطفي عبد البديع، مصر 1956، ص28.

[2]– الوادي الكبير: هو: قصبة الأندلس مشرف على كورة قيجاطة واشبيلية ومرسية وقرطبة. انظر: الادريسي، مصدر سابق، مج1، ص 204.

[3]– ابن عذاري، مصدر سابق، ص ص 58– 181، 198– 200

المبحث الثاني: سمات المسجد المعمارية والزخرفية

أولا : الدعائم الداخلية

يمثل بيت الصلاة بعقوده المتصلة القائمة على عمد غابة من النخيل، وقد كانت أعمدة المسجد القديمة متخذة على الكنائس الرومانية والقوطية لتيسير بناء المسجد وكانت لهذه العمد قواعد مختلفة الأحجام، وظيفتها تسوية ارتفاع العمد القديمة أما أعمدة المسجد الأخرى فمجردة من القواعد، وأعمدة زيادة الحكم المستنصر من الرخام الاسود المجزع بالأبيض تتناوب مع اعمدة وردية اللون تيجانها من النوع المركب، وتمتاز تيجان أعمدة الزيادة المستنصرية بأوراقها ولفائفها الملساء، أما الدعائم العليا التي تقوم فوق الأعمدة بالبلاط الأوسط من زيادة الحكم فتتميز بأنها مثمنة الشكل ومغطاة بزخارف هندسية محفورة في الجص، أما نظائرها من البلاطات الأخرى فخارية من الزخرفة.

ونلاحظ ان مهندسي الحكم عندما شرعوا في جزء زيادته في الجامع، بدأوا بهدم جدران الفيلة القديمة كله، بعد ان احتفظوا بأعمدة المحراب القديم ونقلوها الى موضعها من المحراب الجديد، وأقاموا في موضع الجدار المهدم أحد عشر عقدا مزدوجا ضخما تفصل بين المسجد القديم والزيادة الحكمية، وتتفتح على احدى عشر بلاطا، تتميز العقود الثلاثة الوسطى منها بازدياد ثرائها الزخرفي عن العقود الأخرى، والعقود المذكورة ترتكز جميعا على دعائم ضخمة مائلة في وسط بيت الصلاة، تسمى "الأرجل الصخرية".[1]

ثالثا :العقود

1-العقد المنفوخ المتجاوز لنصف دائرة: (عقد حدوة الفرس)

والعقد نصف الدائري، الواقع أن العقد نصف الدائري والعقد المتجاوز لنصف الدائرة يسيطران وحدهما على جميع عقود المسجد الجامع بما فيها زيادة الحكم المستنصر، فنشاهدها في العقود العليا والسفلى، وفي عقود الأبواب الخارجية، والطاقات التي تعلوها وفي واجهة المحراب وعلى المئذنة وحول الصحن، وتختلف هذه العقود باختلاف الزمان

[1]- السيد عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة بالأندلس**، ج1، مرجع سابق، ص ص 364-365.

الذي أقيمت فيه فنلاحظ ان تكوين العقد المتجاوز في بيت الصلاة القديم يسجل استمرارا للتقاليد القوطية.[1]

وتتجلى في العقود الزخرفية مبالغة واضحة، في اغلاق العقد، كما يتضح في عقود النوافذ الثلاثية بمئذنة الجامع، وفي هذه العقود لا يقتصر النسيج على نصف العقد وانما يستمر في خطوط تلتقي مع المراكز الواقعة في منتصف الخط، الممتد بين جداري العقد بينما تقتصر سنجات العقود المفتوحة الفاصلة بين البلاطات على أنصاف العقود، فإن عقد المحراب والعقدان اللذان يكتنفانه شرقا وغربا، والعقود التي تنفتح على الواجهة الغربية فكلها عقود كاملة التنسيج، وقد ترتب على زيادة طول مفاتيح العقد على التنسيج القائم على مركز خط الحدائر أن بدأ العقد يميل على الشكل المنكسر، ثم تطور شكله الى عقد مفتوح يميل الى الانكسار، وقد ظهر هذا النوع في زيادة الحكم في عقدي المدخل الى الأسطوانتين المجاورتين لأسطوان المحراب.[2]

وإذا كان العقد المفتوح او المجاور يسود الجامع كله، فان استعمال العقد النصف الدائري كان أقل بكثير، واقتصر استخدامه فقط على العقود العليا التي تحمل الأسقف الخشبية، وتوحي هذه العقود النصف الدائرية بالقوة والصلابة بسبب متانتها الرئيسية، في حين تفقد العقود السفلى المفتوحة وظيفة التدعيم بسبب حنياتها المتجاورة لنصف دائرة، وعلى ذلك فإن وظائفها تقتصر على مجرد الربط بين الدعائم وتجميل البناء.[3]

2-العقود ثلاثية ومتعددة الفصوص

ساد هذا العقد في زيادتي الحكم والمستنصر والمنصور وقد أطلق الادريسي على هذا النوع من العقود (صبغة القرط) كما أطلق على العقود متعددة الفصوص (صبغة الفص)، وأشار على الاولى التي تزين المحراب بقوله: "وعلى الوجه، اعني وجه المحراب، سبع قسي قائمة على عمد، وطول كل قوس أشق من قامة، وكل هذه القسي مزججة صنعة القرط"، أما العقود متعددة الفصوص فيذكرها عند حديثه عند الزخارف الهندسية التي تزداد بها سمات

[1]Campis y Cazarola ; Modulo, proporciones y composicion ; en la arquitura califal de cordaba, Madrid, 1953, p 29

[2] قرطبة حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق، ص 367

[3]نفسه، ص 367.

المسجد (اللوحات المسطحة بسقفه الخشبي) وجوائز سقفه (الكتل الخشبية التي تثبت فيها اللوحات المسطحة)، وان رؤوس العقود خماسية الفصوص التي تؤلف الطابق الأدنى من قاعدة فنية المحراب وتعلوها نحور مستديرة مفصصة تربط العقود السفلى بالعقود العليا المفتوحة أو المفصصة.[1]

ويعبر الادريسي عن ذلك بقوله: "وقد عقد بين العمود والعمود على أعلى الرأس قسي غريبة فوقها، فبنى أخرى على عمد من الحجر المبخور متقنة، وقد جصص كل منها بالجص والجبار، وركبت عليها خور مستديرة بينها ضروب صناعات الفص بالمغرة"، وفكرة تشابك العقود كما نراها في بلاط المحراب بزيادة الحكم من ابتكار مهندس الحكم المستنصر، وقد سجل انشاؤها في نقش من الكتابة الكوفية بطرة المحراب نصه:
"...**ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُهُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**،[2]وفق الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله لهذه البنية المكرمة، ومعينه على نيته الخالدة في التوسع لرعيته... ما اليه واليهم الرعية فيما ابتدأ من فضله فيهم وصلى الله على محمد وسلم، أمر الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم امير المؤمنين وفقه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمان رحمه الله بتشبيك هذه البنية".[3]

وقد شاع استخدام العقد المفصص في قرطبة بزيادة الحكم المستنصر بالجامع في صور مختلفة، وكان يقوم بوظيفة معمارية كتحمل الضغط العلوي، ومعنى ذلك أن هذه العقود في قرطبة تطورت تطورا كبيرا بالنسبة للعقود الشرقية من حيث النوع والمظهر الجمالي.
ويشتمل جامع قرطبة على نوعين العقود المفصصة: النصف الدائرية والمنكسرة أما النوع الأول فيشتمل في مدخل البلاط الأوسط من زيادة الحكم المستنصر، وهو عقد منفوخ في تكوينه ثم جزئت حلقته الى 21 فصا بارزا، ويلتحم هذا العقد من اعلى بعقد منفوخ على شكل حدوة الفرس مطوقا إياه، كذلك نشهد هذا النوع من العقود في أحد أبواب الواجهة الغربية لبيت الصلاة.

---

[1]Ricard ; pour comprendre l’art musulan , paris 1924, p132

[2]– سورة غافر، الآية 65

[3] – الادريسي، وصف المسجد الجامع بقرطبة ، من كتاب نزهة المشتاق، نشره الفريد ديسية لامار، مع الترجمة الفرنسية، الجزائر، 1949م، ص 6

أما النوع الثاني فقد اشتهر في زيادتي الحكم المستنصر والمنصور، وشاع استخدام العقد خماسي الفصوص، وهناك نوع آخر من العقود جاء نتيجة تطور طرأ على العقد متعدد الفصوص، وهو العقد ذو اللفائف وهو عقد مدبب مزود في بطنه بلفائف عديدة متصلة، ونشاهد هذا العقد في الاسطوانتين التاليين للعقدين المجاورين للمحراب شرقا وغربا.

3-العقد المنكسر أو المدبب:

يظهر في زيادة الحكم المستنصر، مثلا في العقد متعددة اللفائف الذي سبق ذكره ولكنه يظهر بوضوح في زيادة المنصور بن أبي عامر ولاسيما في العقود التي تعلو النوافذ الرخامية.[1]

ثالثا : الكتل

1-الركائز الخارجية

ان المسجد الجامع يبدو من الخارج مستطيل الشكل تتسم واجهته الخارجية بوحدة المظهر، فارتفاعها متوسط ولكن لا يفوقها في الارتفاع، ويقطع هذه الواجهات على مسافات غير منتظمة في جميع الأحوال، وركائز قوية وضخمة أقرب ما تكون على الأبراج ويمكن ان نعتبرها صدى لتقاليد متبعة في الشرق منذ أقدم العصور، هذه الركائز تكسب الجامع مظهر القلاع لبروزها الكبير وضخامة بناياتها، ولا تقوم وظيفة هذه الركائز كما قد يتبادر الى الذهن على دعم البناء وتحمل الضغط الذي تمارسه عقود بيت الصلاة، لأن هذه الركائز أقيمت في مواضع بعيدة عن نقط امتداد العقود ومراكز اندفاعها، وانما الغرض منها أن تتماشى مع الدعائم البارزة التي تكتنف ابواب المسجد، فتضفي عليه جمالا ويغلب على الظن أن نظام تدعيم الجدران الخارجية بالركائز انتقل الى جامع قرطبة من بلاد المغرب، ومن قرطبة انتشر في مساجد الأندلس.[2]

2-المئذنة

أقام الامير هشام مئذنة للجامع في الجهة الشمالية من الصحن، كانت مربعة الشكل طول كل ضلع منها 6 أمتار، أما ارتفاعها فتقدره المصادر العربية بأربعين ذراعا أي ما يعادل 19.2 مترا تقريبا، على أساس 48 سم للذراع الواحد، وكان جدارها القبلي يرتكز

[1]- السيد عبد العزيز سالم، **(قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس)**، مرجع سابق، ص ص 370- 371.

[2]- نفسه، ص ص 372- 373

على الجدار الشمالي للجامع، وكان يدور حول نواتها الداخلية وهي بناء مربع الشكل شبه ما يكون ببرج صغير، درج لولبي يقع بين جدران هذه النواة الوسطى وبين جدران المئذنة الذي يغلفها، أما مئذنة عبد الرحمن الناصر فقد أقيمت في سنة 340هـ، استغرق بناؤها 13 شهرا، وهي مربعة القاعدة، يبلغ طول كل جانب منها 12 ذراعا (8.46 مترا)، وكان ارتفاعها الى موضع الآذان يبلغ 54 ذراعا، أي ما يقارب (23.50 م) بينما يبلغ إلى أعلى القبة المفتحة التي يستدير بها المؤذن 73 ذراعا (ما يقارب 33.84 م) وقد بنيت الصومعةمن كتل حجرية "ضخام الحجارة القطعية منجدة غاية التنجيد".[1]

ونظام صفوف البناء يتبع طريقة الصف طولا وعرضا (أي وضع كتلتين من جانبهما وكتلة من وجهها) ويتم التحام الكتل الحجرية عن طريق طبقة رقيقة من الجص، وينقسم قلب المئذنة الى قسمين مستقلين، كل منها مستطيل الشكل، يفصل بينهما جدار يمتد من الشمال الى الجنوب، ولكل قسم درج قائم بذاته، عدد درجاته 107.[2]

ولكل مئذنة باب مستقل يدخل المأذنون به، فباب المئذنة الشرقية ينفتح على الصحن، أما باب المئذنة الغربية فينفتح على الطريق المحاذي للجدار الشمالي للجامع، ويتحد الدرجان منها بأعلى السطح الذي يعلو القبة، ويصف الادريسي درج المئذنة فقال: "اذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة لم يجتمعا الا اذا وصلى الاعلى منهما"،[3]

وقال فيهما ابن عذارى كذلك: "وقد كانت الأولى (مئذنة هشام) ذات مطلع واحد، فصير لهذه مطلعين، وفصل بينهما بالبناء، فلا يلتقي الواقفون فيها إلا بأعلاها".[4]

وكان يعلو بسطات الدرج قبوات صغيرة متقاطعة تتعامد مع محور السلم، ويقطعها من وسطها عرصا عقد منفوخ،وكان جميعها مبنية بمواد بنائية ضعيفة، ثم خصصت وطليت بزخارف هندسية باللونين الأبيض والأحمر، وكانت الجدران الخارجية للمئذنة مزينة بنوافذ مزدوجة أو توأمية، عقودها من النوع المتجاوز، تتوزع على ثلاثة طوابق بالنسبية لواجهتها القبلية والشمالية، ونوافذ ثلاثية عقودها منفوخة كذلك تتوزع على طابقين في الواجهتين الشرقية والغربية، ويؤكد الادريسي هذا التوزيع فيقول: "وبالأوجه الأربعة الدائرة من

[1] – المقري، مصدر سابق، ج2، ص ص 85– 99

[2]– ابن غالب، مصدر سابق، ص 29.

[3]– الادريسي، مصدر سابق، ص 10

[4]– ابن عذاري، مصدر سابق، ص 228_ 229

الصومعة صفان من قسي دائرة على عمد من الرخام الحسن" وتنتهي مجموعة حنايا العقد المزدوج أو الثلاثي من أعلى بإفريز بارز يدور مع الحنايا، وتتأكد هذه العقود في النوافذ على عمد صغيرة تيجانها كورنثية ومركبة.[1]

وكان جدار المئذنة ينتهي من أعلى بإفريز من العقود الصماء (تسعة في كل وجه) قائمة إلى عمد صغيرة، وكان يتوج الجدار من أعلى السطح شرفات مسننة، وقد أحصى الادريسي عدد أعمدة المئذنة من الداخل والخارج يبلغ ثلاثمائة عمود ما بين كبير وصغير.[2]

ويبدو بابا الصومعة صغيرين يعلو الواحد منهما عتب ثم عقد منفوخ، يكتنفه عقدان جانبيان قد نقشا على الركيزتين البارزتين على جانبي المدخل، وفوق هذا العقد صف من أربعة عقود متصلة قائمة على ثلاثة عمد مشتركة، وتنتهي البوابة من أعلى بشرفة بارزة قائمة على مساند، وكان يعلو هذا الطابق بين المؤذنين أقل ارتفاعا من الطابق الأول للمئذنة،كان يقضي كل ليلة مؤذنان الأذان في العشاء والفجر وكانت تتوج هذا البيت قبة مخرمة يصفها ابن عذاري بقوله: "وفي أعلى ذروة المنارة ثلاث رماناتتغشى النواظر بشعاعها تخطف الأبصار باتساعها الأولى مصنوعة من الذهب والوسطى من الفضة، والثالثة من الذهب ايضا وفوقها سرسانة من الذهب المحصن مسدسة وفوق السوسانة رمانة صغيرة من الذهب، ثم طرف الزج، وفيه تاريخ مكتوب بالذهب."[3]

رابعا :أسقف الجامع وقبابه

1-الأسقف الخشبية:

كان للمسجد الجامع أسقفا خشبية تتكون من لوحات خشبية مثبتة على عوارض تمتد عرضا بأعلى البلاطات، تعلوها أسطح منشورية الشكل مكسوة بالقراميد وقد أزيلت هذه الأسقف الخشبية لتآكلها، وأقيم مكانها قنوات متعارضة خفيفة، وقد أورد الإدريسي في وصف الجامع مساعدة للتعرف على هذه الأسقف فقال: "وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز سقفه، وجميع خشب هذا المسجد من عيدان الصنوبر الطرطوشي ارتفاع حد

[1]- الادريسي، مصدر سابق ، ص 12.

[2]- الادريسي، نفسه ، ص 12.

[3]- ابن عذاري، مصدر سابق، ص 228.

الجائزة شبر وافر في عرض شبر الى ثلاثة أصابع في طول كل جائزة منها سبع وثلاثون شبرا، وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة والسموات التي ذكرناها هي كلها ضروب الصنائع المنشأة من الضروب المسدسة والمؤربى وهي صنع الفص وصنع الدوائر والمداهن، لا يشبه بعضها بعضا بل كل سماء منها مكتنف بما فيه من صنائع قد احتكم ترتيبها، وابداع تلوينها بأنواع الحمرة الزنجفرية والبياض الأسفيناجي، والزرقة اللازورية، والزرقونالباروقي، والخضرة الزنجارية والتكحيل النفسي، تروق العيون، وتميل النفوس بإتقان ترسيمها، ومخلفات ألوانها وتقسيمها [1]"وكانت جميع هذه اللوحات والجوائز تحمل زخارف يستدل من أسلوبها على أنها أقيمت في عصر الحكم المستنصر، ومن بين أسماء الفنانين الذين اشتغلوا في تنفيذ هذه الأسقف نقرأ أسماء ابنفتح، حاتم، ورشيق، وهو نفس الفنان الذي سجل اسمه في احدى زخارف قصر الناصر في مدينة الزهراء، كما شوهد مدهونا على قاع قطعة من الخزف في حفريات الزهراء، وهو دليل على أن الأسقف الخشبية تم تنفيذها في بيت الصلاة بجامع قرطبة كان في عصر الخليفة عبد الرحمان الناصر.[2]

2- القبوات والقباب

عمل مهندسو الحكم المستنصر على حشد كل القيم الجمالية من تناسق وايقاع، وتعادل واتزان، وتنوع وتكرار، وانسجام الالوان على المحراب البديع الذي يعتبر بحق أكمل ما في الزيادة الحكمية، فعلى كل جانب من جانبي المحراب فتح باب يعلوه عقد منفوخ تحدده من أعلى طرتان مستطيلان تحصران بينهما شريطين من الكتابة بالفسيفساء على أرض اللازورد، كذلك حرص مهندسو الجامع على ايجاد بلاط عرضي يمتد بحذاء جدار القبلة في مثل روعة البلاط الأوسط العمودي على هذا الجدار، فأقاموا على أسطوان المحراب قبة قائمة على هيكل من الضلوع البارزة المتقاطعة فيما بينها، ثم أحاطوها بقبتين جانبيتين تأكيدا لفخامة البلاط العرضي، وتجسيدا للمقصورة الخلافية، ورغبة في انقاذ مزيد من الضوء ليغمر به مقصورة الخليفة من خلال نوافذ القباب، وعلى هذا النحو نجحوا في الايحاء بوجود أسكوب مواز لجدار المحراب، كما نجحوا في إحداث التأثير الجمالي المطلوب، كما أدى حرصهم على توزيع التناسق فيما يلي المحراب شرقا وغربا على ابتكار

[1]- الادريسي، مصدر سابق، ص 4.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، **(قرطبة حاضرة الخلافة بالأندلس)**، مرجع سابق، ص ص382_ 384.

أصيل في العمارة الاسلامية هو فكرة تعدد القباب على اسكوب المحراب، وهكذا كان وجود البابين المجاورين لعقد المحراب، السبب المباشر الذي أملى على هؤلاء المهندسين فكرة الاستمرار في تعميم مظهر التناسق على جانبي المحراب وذلك باقامة قبتين تكتنفان قبة المحراب من الشرق والغرب بإزاء العقدين المتتاليين للمحراب اللذان يكتنفانه من الجانبين.[1] كما واصل مهندسو الحكم اضفاء مظهر التناسق الذي طبقوه على أسكوب المحراب بإقامة قبة الضوء أو القبة المخرمة الكبرى على مدخل البلاط الأوسط من زيادة الحكم، والظاهر أنها سميت بقبة الضوء لتعدد نوافذها المفتوحة حول قاعدتها المستطيلة، ويبلغ عدد النوافذ 16 نافذة أربعة في كل جانب تسمح بنفاذ الضوء قويا في قلب الجامع، أما نوافذ قبة المحراب والقبتين المجاورتين لها شرقا وغربا فقليلة من حيث العدد، ثم أنها ذات متكآت رخامية تعوق الضوء من النفاذ.[2]

هي التي أطلق عليها الادريسي اسم القبة الكبرى[3] ويسميها ابن غالب القبة العظمى التي كانت تعلق فيها الثريا الكبيرة التي تحمل 1020 كأسا، وهي أكبر ثريات الجامع وأضخمها، وهي أنبل بقعة في المسجد وأشرفها، بل هي الموضع الذي يؤم به صاحب الصلاة المسلمين، والمكان الذي يتخذه الخلفاء للصلاة، ولهذا السبب قلت فتحاتها ونوافذها واستيعص عن ذلك بالزخرفة الزاهية، وزودت بأضخم ثريات الجامع لتزويدها بالضوء. كذلك قد ورد وصفها في عبارة نصها: "وظهور القباب مألة وبطونها مهللة كأنها تيجان وضع فيها ياقوت ومرجان"[4]

ولما كانت القباب تتطلب دعائم ضخمة تتلقى الدفع الذي تمارسه، وهي مهمة تحتاج الى ركائز ضخمة، فوجد المهندسون حلا لتحقيق الدعم المطلوب مع تجنب اقامة دعائم عند المقصورة لأن وجود مثل هذه من شأنه أن يقطع وحدةنظام التدعيم المعماري للمسجد، ويفيد المظهر الجمالي الذي يسود بيت الصلاة ويحجب رؤية القبلة عن أنظار المسلمين ونجح المهندسون القرطبيون في هذه المنشآت.[5]

---

[1] – السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص ص 384_ 385

[2]– نفسه، ص 386.

[3] – الادريسي، مصدر سابق، ص 2.

[4]– ابن غالب، مصدر سابق، ص 29.

[5]– السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 388_ 389.

ففي كل من الركنين الأماميين للأسطوان المزدوج الذي ترتفع عليه قاعدة المحراب، كما ركز المهندسون عمودين بدلا من عمود واحد، ونصبوا في الفراغ القائم بينهما عمودين اخرين في الواجهة الشمالية،وعمود في كل الجانبين القصيرين من جانب الاسطوان المزدوج. ما أمكن لهذه الأعمدة أن تحمل طابقين بين العقود: الأدنى من النوع المفصص والأعلى من النوع المفتوح، وحرصا على تشبيك الطابقين أوصل المهندسون بينهما بجور تمتد من رؤوس العقود المفصصة السفلى يمينا ويسارا لتلتحم ببطون العقود العليا مؤلفة بذلك تشبيكا متماسكا، يشمل بذلك توزيع الضغط الذي تمارسه القباب توزيعا يجنب تركيزه على الأعمدة.

أما بالنسبة للقباب فقد كانت تقوم على عقود نصف دائرية بارزة من حجر منجور، تتقاطع فيما بينها مُؤلفة أشكال نجمية مضلعة، مع ترك فراغ في الوسط مثمن الشكل في القباب الثلاثة المتجاورة بالمقصورة، ومربع الشكل في قبة الضوء تشغله قبيبة مفصصة ويغطي فراغات بين العقود المتقاطعة كسوات حجرية، أما في قبة المحراب فقد كسيت بالفسيفساء. وقد انتقل نظام التقبيب القرطبي القائم على تقاطع الضلوع من قرطبة إلى طليطلة، فتراه ممثلا في صور مختلفة في مسجد "باب المردوم"، فتشاهد في قبابه ما يمثل شكلا رباعيا منحرفا ذا قطرين متقاطعين في الطراز القوطي ومنها ما يبدو على شكل مثمن ومنه ما يقلد تقاطع ضلوع قبة المحراب بجامع قرطبة، وكانت قبة قصر الجعفرية بسرقسطة قائمة على الضلوع كذلك.[1]

خامسا: الأبواب والنوافذ

كان جامع قرطبة الذي أنشأه الأمير "عبد الرحمن الداخل" يشتمل على خمسة أبواب: ثلاثة منها تفتح على الصحن (واحد في كل من الأسوار: الشمالي، الشرقي، الغربي)، واثنان في بيت الصلاة (أحدهما في الشرق والآخر في الغرب)، ثم أضاف هشام للجامع بابين للسقيفة الجوفية الملحقة ببيت الصلاة من طرفيها الشرقي والغربي، وفتح عبد الرحمن الأوسط في زيادته الثانية بابين: أحدهما في الجدار الشرقي والثاني في الجدار الغربي من جهة القبلة، أما الناصر فيبدو أنه فتح بابين يشرعان إلى الصحن أحدهما في الجدار الشرقي والآخر في الغربي، ثم فتح الحكم في زيادته ثمانية أبواب أربع في كل من جانبيه

[1]- السيد عبد العزيز سالم. مرجع سابق، ص ص 388-392.

الشرقي والغربي، كما فتح في الجدار القبلي غرب المحراب بابًا يشرع إلى الساباط، وأصبح مجموع عدد أبواب الجامع بعد زيادة الحكم عشرين بابًا، أما بعد زيادة "المنصور" فقد بلغ عدد أبوابه 21 بابًا.[1]

وكانت جميع الأبواب الخارجية وفقا لما ذكره الادريسي: "مصفحة بصفائح النحاس وفي كل باب منها حلقتان في نهاية الاتقان، وعلى وجه كل باب منها في الحائط ضروب من الفص المتخذ من الآجر الأحمر المحكوك أنواع شتّى وأجناس مختلفة من الصناعات والترييش وصدور النبراة"، وكانت أبواب الجامع تفتح بين الزوج من الركائز، ونلاحظ أن أبواب الزيادة "الحكمية" تتميز بالضخامة، والثراء الزخرفي، فواجهاتها جميعها مكسوة بالزخارف النباتية والهندسية.[2]

أما نوافذ الجامع فيصفها الادريسي دون أن يذكر عددها: "فيما استدار بالجامع من أعلاه تمدد الضوء ودخوله إلى السقف متكآت رخام، طول كل مُتكأ منها قدر قامة في سعة أربعة أشبار في غلظ أربع أصابع، وكلها صنع مسدسة ومثمنة مخرمة منفوذة لا يشبه بعضها بعضا".[3]

أما "ابن غالب" فيذكر أعدادها بقوله: "عدد ألواح الرخام المنصوبة في الحيطان لدخول الضياء عليها أربعة وخمسين لوحا، وفي الجهة الشرقية منها خمسة عشر لوحا، وفي الغربية مثلها، وفي القبلة منها ثمانية عشر لوحا، وفي الساباط الذي يدخل منه ساكن القصر إلى الجامع ستة ألواح".[4]

وتميزت متكآت السقف التي بعضها من الرخام والبعض الآخر من الحصى، بزخارفها الهندسية وقوامها الدوائر والمربعات والنجوم مثمنة الرؤوس، ويلاحظ أن متكآت القباب أقل حجما من متكآت الجدران،والملاحظ أن متكآت الزيادة "الحكمية" كانت أكثر زخارف المتكآت تعقيدا وغلوا في الحشد الزخرفي.[5]

---

[1]- نفسه، ص 393.

[2] – الادريسي، مصدر سابق، ص 10.

[3]- نفسه، ص 14.

[4] – ابن غالب، مصدر سابق، ص 29.

[5] – عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 397.

سادسا : واجهة المحراب

واجهة عقد المحراب وعقدي البابين المجاورين له:

يذكر أن جدار المحراب وما يليه قد أجري فيه الذهب على الفسيفساء وأنه يكتظ بالنقوش والرقوم التي يعجز عن وصفها، وقد كسيا وجه المحراب والعقدين المجاورين له بالزخارف الرائعة من نباتية وهندسية وكتابية تبهر الناظر بكثرتها وأناقتها وتناسق توزيعها، فعقد المدخل إلى المحراب منفوخ متجاوز يقوم من كل جانب على عمودين، هما نفس العمودين الذين كانت تزدان بهما كل من عضادتي محراب عبد الرحمن الأوسط، اقتلعها مهندسو الحكم ونقلوها إلى الزيادة الحكمية لتوضع في المحراب الجديد، ويغطي الوجهين المرئيين من منكبي عقد المحراب كتابة كوفية في ثلاثة سطور مذهبة على أرضية حمراء، نقرأ على المنكب الأيمن النص التالي: "بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، أمر الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين"، ونقرأ على المنكب الأيسر النص الآتي: "أصلحه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رضي الله عنه بنصب هذين المنكبين فيما أسسه على تقوى الله ورضوانه، فتم ذلك في شهر ذي الحجة سنة أربع وخمسين وثلاثة مائة"، ويؤزر جدار المحراب لصق عضاديته لوحان من الرخام الأبيض حفرت فيهما زخارف من التوريقات الدقيقة حفرا غائرا عميقا يبرزها كما لو كانت على نحو ما نراه في النمنمات، وتعتبر هذه الزخارف من أروع أمثلة فن النحت على الرخام في العصر الاسلامي.[1]

ويتألف عقد المحراب من نسجات طويلة تمتد حتى منكبيه، وتغرها زخارف نباتية من الفسيفساء متعدد الألوان، ويحدد دائرة العقد افريز بارز من الرخام يزدان بورقة نباتية متكررة ويحف بها مسجة، بينما يعلو العقد افريز مستطيل من الرخام يزدان بتوريقات بارزة، ويحيط به طرة مستطيلة أو تربيحة، تفصلها من الاعلى عن الإفريز الذي ذكرناه أرضية من الفسيفساء، ويملأ الطرف سطران من الكتابة الكوفية من الفسيفساء المذهبة على أرضية أزورية يتضمن تسجيل التاريخ بناء التشبيك الذي تقوم عليه القبة وبأعلى الشريط الأفقي بالطرة إفريز عريض بطول المحراب، يزدان بسجة عقود ثلاثية الفصوص مغلقة قائمة على ثمانية عمد صغيرة رشيقة، تيجانها كورنثية، ويغطي سطوحها الغائرة الواقعة بين العمد

[1]- السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص ص 397-398.

فسيفساء تمثل زخارف نباتية، وتنتهي الواجهة من اعلى بشريط بارز مكتظ بالزخارف المحفورة، وعليهتقوم قاعدة القبة.[1]

ويصف الادريسي وجه المحراب بقوله: "ولهذا المسجد قبلة يعجز الواصفون عن وصفها، وفيها اتقان يبهر العقول تنميقها، وكل ذلك من الفسيفساء المذهب الملون، مما بعث صاحب القسطنطينية العظمى الى عبد الرحمن المعروف بالناصر لدين الله الاموي، وعلى هذا الوجه أعني وجه المحراب سبع قسي قائمة على عمد، وطول كل قوس أشق من قامة، وكل هذه القسي مزججة صنعة القرط، وقد أعنيت الروم والمسلمين بغريب أعمالها ودقيق تكوينها ووصفها وعلى أعلى الكل كتابان مسجونان من بحرين من الفسيفساء المذهب في أرض الزجاج اللازوردي، وكذلك تحت هذه القسي ذكرناها كتابان مثل الأولين مسجونان بالفسيفساء المذهب في أرض اللازورد، وعلى وجه المحراب أنواع كثيرة من التزيين والنقش ".[2]

والعقدان الجانبيان لعقد المحراب ابتكار قرطبي، استحدثه مهندسو جامع الحكم المستنصر استكمالا للمظهر الجمالي للبناء والزخرفة ومراعاةً للتناسق والانسجام بين جوفة المحرابوبين البابين المفتوحين على يمينه ويساره، فيبدوان كما لو كانا محرابين إضافيين، وكان لكل منهما عتب مسنج، ويعلوه عقد يماثل عقد المحراب ويملأ وجه العقد وبنيقتيه زخارف نباتية من الفسيفساء متعددة الألوان، وتحيط به خمسة أفاريز الثاني والرابع منها تشغله كتابة كوفية، والثالث والخامس تحتشد فيه زخارف هندسية، وتتوسط طرة المحراب نافذة مستطيلة الشكل نصبت فيها لوحة مخرمة ويحيط بالنافذة ثلاثة أشرطة من الفسيفساء تملأ الأوسط منها كتابة، ويعلو كل من العقدين الجانبين لعقد المحراب بأعلى النافذة عقد كبير منفوخ بارز ومسنج في ثلثه العلوي، وتتميز سنجاته بأنها متعاشقة.[3]

أما المحراب فيعتبر أجمل العناصر المعمارية والزخرفية في الجامع، فقد اهتم به مهندسو الحكم المستنصر اهتماما خاصا وحشدوا في حنيته وعلى واجهته وأمام أسطوانه وفي بلاطه وأسكوبه كل انواع الزخارف، ويذكر ابن غالب بأن :"طوله من القبلة الى الجوف ثمانية أذرع ونصف، وارتفاع قبوه ثلاثة عشر ذراع ونصف ذراع "، وتخطيطه على شكل مثمن

[1]- السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق ، ص ص 398_ 399.

[2]- الادريسي، مصدر سابق، ص ص17-18

[3]- السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص ص 399_ 400.

منتظم، وهو المثل الوحيد في العمارة الاسلامية بهذا التخطيط، وهو مفرغ في كتلة ضخمة من البناء، ويظهر موضعه من الخارج بواسطة مستطيل ناتئ عن الجدار يبدو كأنه ركيزة مطولة.[1]

ويغطي ازار المحراب من الداخل لوحات ملساء من الرخام المجزع، يعلوها شريط بارز من الرخام نقشت فيه كتابة كوفية بارزة نصها: "**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**،[2]أمر الامام المستنصر بالله عبد الله أمير المؤمنين أصلحه الله بعد عون الله فيما شيده من هذا المحراب بكسوته بالرخام رغبة في جزيل الثواب وكريم المآب، فتم ذلك على يد مولاه وصاحبه جعفر بن عبد الرحمن رضي الله عنه، ينظر أحمد بن تلميخ وأحمد بن نضر وخالد بن هشام أصحاب شرطته، ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب عبيده في شهر ذي الحجة من سنة أربع و خمسين وثلاث مائة **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (22)**".[3]

ويعلو هذا النقش رف بارز من الرخام يدور حول جوفة المحراب، ويستند على مسانيد مزينة بتوريقات محفورة حفرا غائرا على أسلوب أوراق التيجان، ويجري تحتها مسجة حباتها بارزة، وبين المسند والمسند كتابة بارزة، نقرأ في الاطارين الواقعين على اليمين (عمل فتح وطارق) وفي اطارين الجهة اليسرى (عمل نضر وبدر) ويعلوهما افريز من الكتابة الكوفية تتضمن آية قرآنية.[4]

ويزدان كل وجه من أوجه المحراب الستة من الداخل بأعلى الرف البارز بعقد مغلق من ثلاثة فصوص يقوم على عمودين من الرخام، ويتناوب في العقد سنجات ملساء وأخرى مزينة بتوريقات، ويغطي عضادتي العقد وبنيقته وتربيعتهتوريقات محفورة في الجص، تشبه التوريقات المحفورة في اللوحتين الرخاميتين اللتين تكتنفان عقد المحراب من الخارج.

---

[1] – ابن غالب، مصدر سابق، ص 28.

[2]– سورة البقرة، الآية 238.

[3] – سورة لقمان، الآية 22.

[4]– السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص ص 401– 402

ويعلو جوفة المحراب خصة رخام قطعة واحدة مشبوكة محفورة منمقة بأبدع التنميق من الذهب واللازورد وسائر الالوان.[1]

وقد وصف ابن غالب الاندلسي المحراب وصفا تفصيليا كاملا جاء فيه: "سقف القبو من رخامة بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة قد أحكمت وأنزلت في موضعها بأتقن صنعة، وهو مثمن البنيان من داخله، مكسوة جوانبه بثمانية ألواح من الرخام طول كل لوح منها .... الثمين الذي انطبع فيه ثمانية أذرع تامة، عرض الستة منها ستة أشبار ، وعرض اللوحين الباقيين ثلاثة أشبار الى موضع الرف المستدير على رؤوس الألواح المعمول بالرخام، وأرضه مفروشة بالرخام الأبيض في عتبة بابه لوح رخام أبيض يمسكه ما بين عضادتيه، وما تحت سواري العضاديتين، طوله اثنا عشر شبرا وعرضه أربعة أشبار، وجدار المحراب وما يليه قد أجري فيه الذهب على الفسيفساء.[2] "

سابعا: صحن المسجد

ظل صحن المسجد على شكله المألوف الى أنه طرأ عليه تغييرا طفيفا وهو غرس الأشجار لاسيما أشجار النارنج والبرتقال وهذه المادة جاءت وفق مذهب الأوزاعي،[3] فقد عهد الامير عبد الرحمن الداخل الى الفقيه صعصعة بن سلام[4]الشامي الدمشقي بغرس صحن المسجد بالأشجار، إذ كان في صحن المسجد ما يقارب سبعين شجرة نارنج وشجرة زيتون واحدة.[5]

مما يبدو أن لمهندسي المسجد غاية من غرس الصحن بهذه الأشجار، فالزيتون من الأشجار الجليلة القدر والعظيمة النفع، أما النارنج من فوائد أوراقه إذا وضعت طيبت رائحة الفم، وقطعة رائحة الثوم والبصل من المصلين، أما أشجار الليمون فيستفيد من أوراقها

[1]– الادريسي، مصدر سابق، ص 8.

[2] – ابن غالب، مصدر سابق، ص ص 28_ 29

[3]– المذهب الأوزاعي: هو مذهب ينسب للإمام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي، انتشر في بلاد الشام ثم انتقل الى الاندلس.

[4] – صعصعة بن سلام الدمشقي: يكنى أبا عبد الله كان تلميذا للأوزاعي. أنظر: ابن القرفي، علماء الأندلس، ج1، ص 24.

[5] – رغد جمال العزاوي، مرجع سابق، ص ص 43_44.

للاستضلال تحتها، ومن أشجار السروحوالي تسعة أشجار،[1] ويحتوي على ثلاث أشجار من النخيل وفي وسط الصحن صهريج ماء له خصة.[2]

والصحن عبارة عن فناء شاسع مستطيل الشكل يبلغ تقريبا ثلث رقعة المسجد، وهو أندلسي الطراز بأشجاره ونوافيره ويحيط به عدد من الأديار.[3]

المبحث الثالث: توسيعات المسجد

لم توضح لنا المصادر العربية بجلاء التاريخ الذي بدأ فيه الأمير عبد الرحمن الثاني توسعة المسجد فربما كان عام 833م، بناء على رأي (ليفي بروفنسال) حتى 848 حيث أقيمت اول صلاة جمعة في المحراب الجديد يرى مد كافة الأروقة للمصلى القديم صوب الجنوب لمسافة 24م، الأمر الذي جعل من المحتم هدم حائط القبلة للمحراب ومن الواضح أن الأعمال جرت تحت اشراف كل من نصر ومسرور، لم تكن الأعمال قد انتهت عند وفاة عبد الرحمن الثاني، فقام ابنه وخليفته محمد الأول بانجاز ما تم (852/ 886م)،هذا الأخير بترميم وتقوية باقي أجزاء الحرم الذي شيد خلال القرن الثامن ميلادي ثم أضاف أو زخرف في الحائط الغربي والمرتبط بهذا القطاع.[4]

وهذا ما نراه في نقش كتابي لوحة عقد الباب وكذا التاريخ 855م والى محمد الأول ترجع فكرة نفذت لأول مرة في قرطبة، وهي عبارة عن فراغ موازي لحائط القبلة مخصص للأمير أو ما أطلق عليه بالمقصورة حيث تدلف اليه الحاشية عبر بوابة توجد في الحائط الغربي، وهو الباب المرتبط بالدهليز الجسري المسمى بالساباط، الذي يبدا من القصر حيث قام الأمير عبد الله ببناء البوابة والساباط (886/ 912م)، وقد كان ذا ثلاث بوائك ذات أعمدة،

[1]– رغد جمال الغزاوي، مرجع سابق، ص ص 43_ 44.

[2] خصة: جمعها خصص وخصات، وهو حوض من الرخام أو الحجر المستدير ومرتفع عن مستوى سطح الارض، وفي وسطه أنبوب يتدفق منه الماء. أنظر: ابن سيده: المحصف، ج2، ص 102

[3] الادريسي، مصدر سابق، ص 186.

[4] السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 172.

وهذا الرأي يعتمد على معلومات غير واضحة بما فيه الكفاية، وردت في المصادر العربية بينما هناك من يرى أن هذه البوائك لم تكن موجودة.[1]

التوسعات التي جرت في عصر عبد الرحمان الثالث والحكم الثاني:

أولا : توسعة عبد الرحمن الناصر

بعد تأسيس مدينة الزهراء 936م بإقامة مسجدها خلال الفترة (941/ 945م)، قام عبد الرحمن بعملية توسعة مهمة لصحن المسجد الذي يرجع الى الأمير هشام الثاني، وفيه جرت إقامة البوائك بشكل نهائي، وبالشكل الذي ما نراه في المسجد الملكي، وأقام مئذنة جديدة ملاصقة للحائط الشمالي، ويبرز مخططها نحو الداخل مثلما هو الحال في مدينة الزهراء،حيث يلاحظ أن كلتا المنارتين تقعان عند منبت المحور المركزي للصحن والحرم، وعلى ذلك جرى هدم الحائط الشمالي، الذي يرجع الى عصر هشام الأول، وكذا المئذنة التي ترجع الى الفترة المذكورة ، وتبلغ مساحة الصحن الجديد 4234م[2]

و تمثلت التوسعة في امتداد المسجد نحو الجنوب أي مدت الأروقة السابقة لمسافة 38.50 مترا أو 45. 86 م مع الساباط الداخلي الجديد الموازي لحائط القبلة ولهذا السبب جرى هدم حائط القبلة الذي شيد في عصر عبدالرحمن الثاني، وانتزعت من محرابه أربعة أعمدة رائعة جرى اعادة وضعها في كوة المحراب الجديد.

وهنا تجدر الاشارة أنه يمكن القول بوجود حائط مزدوج للقبلة، وهما الحائط الفعلي الذي توجد فيه كوة المحراب والخارجي الذي ينتهي عند الساباط، وهذا ليس بالجديد ذلك أن القبلة المزدوجة كانت حالة سابقة في مسجد الزهراء غيران الجديد تماما في المسجد هو ذلك الجزء من المخطط على شكل حرفT، المكون من الرواق المركزي والفراغات المربعة للقباب الثلاث الكائنة أمام المحراب وهي قباب ذات أوتار حجرية توجد فوق المكان النخصص للخليفة وحاشيته (المقصورة)، وهذه المقصورة تضم عرض الخمسة أروقة المركزية، وهنا قبة اخرى تقع عند بداية الرواق المركزي من التوسعة التي جرت.

[1] باسيليون بابون مالدونادو، عمارة المساجد في الأندلس (قرطبة ومساجدها)، تر: علي ابراهيم منوفي، ط1، كلمة للنشر ابو ظبي، 2011، ص 14.

تلك المراحل البنائية المتعاقبة التي مر بها المسجد ابتداءا من عصر عبدالرحمن الناصر حتى الحكم الثاني، وتبلغ مساحة الجزء المسقوف من المسجد 2585م، 2 أيتسع 5000 نسم،أما عدد الأعمدة يبلغ 120 عمود.

ثانيا : توسعة الحكم الثاني

وبعد تولي الحكم الثاني سدة الحكم بعد أبيه عبد الرحمن الناصر،وأمام زيادة عدد السكان وتكدس المصلين في صلاة الجمعة ، اتضح ان المسجد صغيرا وهنا وجد الخليفة الجديد نفسه أمام ضرورة البدء في توسعة أخرى للمسجد بدأت عام 962م وانتهت فيه فيما يبدو 965م، أو خلال السنوات العشر الأخيرة من عمر الخليفة (972م).[1]

وتتميز الزيادة الحكمية في المسجد الجامع بقرطبة دون غيرها من الزيادات التي استوسع بها الجامع باشتمالها على أربع قباب توزعت على البلاط من زيادة الحكم وعلى الاسلوب الموازي لجدار القبلة، ونظمت على النحو التالي قبة على مدخل الزيادة وتعرف بالقبة المخرمة الكبرى أو القبو الكبير أو قبة الضوء، وقبة تعلو الأسطوان الذي يتقدم جوفه المحراب مباشرة وتعرف بالقبة الكبرى أو القبة العظمى، معنى أنه أقيمت بالزيادة الحكيمة قبتان إحداهما عند مدخل الزيادةوالأخرى عند نهايتها أمام المحراب،وفي هذا تقليد لنظام قبتي المحراب والبهو، ثم أضيفت الى قبة المحراب بجامع قرطبة قبتان جانبيتان تكتنفانها من الشرق والغرب، وأصبح هذا النظام الذي ابتكره بناة الزيادة الحكمية بجامع قرطبة أنموذجا احتذته مساجد المغرب والأندلس بعد تخطيط الجامع بصورته النهائية بعد زيادتي الحكم المستنصر والمنصور، فأصبح بيت الصلاة فيه يشتمل على ثلاثة عشر بلاطا تتجه عموديا على جدار القبلة البلاط الأوسط أكثر من البلاطات اتساعا، بل نجده يمتد الى صفوف العقود التي تفصل بين بيت الصلاة القديم وبين الزيادة الحكمية، كل منهما يشتمل على ثلاثة أساليب تماما كما يحدث بالنسبة لصف العقود القائمة على الدعائم بجامع قرطبة.

كذلك مست الزيادة نظام القباب القائم على البلاط الأوسط وأسلوب المحراب في زيادة الحكم مع تعدد البلاطات الفسيحة يصل الى ثلاث إحداها في الوسط والبلاطات الأخرى

[1] باسليون بابون مالدونادو، مرجع سابق، ص 16.

متطرفان، وبدلا من تكدس القباب على بلاط المحراب وأسلوبه أصبحت القباب تتوزع على مدخل البلاط الأوسط ونهايته أمام المحراب وأسلوبه ثم على كل بلاط من البلاطين المتطرفين عند نهايتهما من جهة المحراب.[1]

المبحث الرابع: أثر المسجد الجامع بقرطبة في النظام التخطيطي للمساجد الجامعة بالأندلس

يجمع مؤرخو الفن الاسلامي على أن جميع الصور المتطورة لعناصر البناء في مختلف أبنية الأندلس ينبثق أساسا من المسجد الجامع بقرطبة، ففيه تكمن المنابت الأولى للفن الأندلسي التي أخذت في الظهور في عصر الخلافة الأموية ثم ترعرعت بعد ذلك في عصر الطوائف، وتفتحت براعمها في عصر دولتي المرابطين والموحدين، وأثمرت في عصر دولة بني الأحمر، وجامع قرطبة كذلك يمثل المنبع الرئيسي الذي ارتوت منه فنون الاسلام في المغرب و الأندلس في عصوره المختلفة، ولهذا أصبح هذا الجامع المثل الأعلى لمساجد المغرب والأندلس، حيث اتبع المرابطون تخطيطه العام بعد اكتماله بالزيادة العامرية، تقليدا دقيقا في مسجدهم الجامع بتلمسان واتخذ الموحدون تخطيطه أنموذجا بجوامعهم وحوكيت قبابه القائمة على الضلوع البارزة المتقاطعة فيما بينها في نظام التقبقيب في المساجد والقصور في المغرب والأندلس بل وفي بعض الكنائس المستعربة في اسبانيا المسيحية وبعض الكنائس ذات الطراز الروماني في قشتالةونافارةوأراجون، واتخذت التشبيكات الناتجة عن تقاطع العقود المنفوخة والمفصصة وما أوصل بينها من النحور المستديرة بقواعد القباب الأربع في قرطبة أنموذجا لزخارف واجهات القاعات المطلة على الأفنية في القصور الأموية بمدينة الزهراء وفي بعض الأمثلة الأخيرة خصائصها المعمارية التي كانت تتميز بها في جامع قرطبة، وعلى هذا النحو اصبح الفن الخلافي بقرطبة يمثل مدرسة فنية بلغت تأثيرات درسوها الى مجالات بعيدة فأدركت جنوبي فرنسا من جهة ووصلت الى بلاد المغرب ومصر من جهة اخرى.[2]

---

[1] باسليون بابون مالدونادو، مرجع سابق، ص 20.

[2] السيد عبد العزيز سالم، **مقال العمارة الاسلامية في الأندلس**، مجلة عالم الفكر مجلة دورية تصدر 3 أشهر عن وزارة الاعلام ، الكويت مجلد8 ، العدد 1 ابريل، ماي، مايو، يونيو، 1977، ص ص 91_ 93.

فإن هذا النظام القائم على بلاطات تتجه اتجاها عموديا على جدار القبلة أصبح الطابع المميز للمسجد الجامع بقرطبة منذ أن أسسه عبد الرحمن بن معاوية سنة 169هـ الى ان اتخذ صورته النهائية بزيادة المنصور بن أبي عامر في سنة 377هـ، ومنه انتشر في الأندلس بحيث أصبح الطابع المميز لجامع مساجد الأندلس.[1]

وكما أن تخطيط بيت الصلاة بجامع قرطبة أثر تأثيرا مباشرا على جميع مساجد الأندلس من حيث اتجاه بلاطاته عموديا على جدار القبلة، نشهد أيضا هذا التأثير واضحا في زيادة اتساع البلاط الأوسط وزيادة ارتفاعه عن بقية البلاطات الأخرى ويتمثل ذلك في جامع ابن عدبس بإشبيلية والمسجد الجامع بمدينة الزهراء والمسجد الجامع بألمرية، والمسجد الجامع بقصبة إشبيلية كما نشهده في غرس جميع صحون المساجد الجامعة بالأندلس بأشجار البرتقال والنارنج على النحو الذي أحدثه الأمير عبد الرحمن بن معاوية عندما أمر عبد الله بن صعصعة بن سلام صاحب الصلاة بالجامع بغرس صحن جامع قرطبة بالأشجار متبعا في ذلك مذهب الامام الأوزاعي الذي أجاز ذلك.

وقد تابع حكام الأندلس هذا التقليد في مساجد الأندلس ويؤكد ذلك ما ذكره الرَّحالة والجغرافيون العرب وغيرهم، فابن بطوطة يذكر أن بصحن جامع مالقة أشجار النارنج البديعة، وكذلك شأن جوامع وادي آش وعمر بن عدبس بإشبيلية وجامع القصبة الكبير بإشبيلية، وجامع البيازين بغرناطة.[2]

[1] نفسه، ص ص 92_ 93.

[2] السيد عبد العزيز سالم، **المساجد والقصور بغرناطة**، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1987، ص 20.

خلاصة الفصل الثالث:

يعد المسجد الجامع بقرطبة من روائع العمارة الاسلامية الذي تم انجازه خلال عهود أقوى أمراء الأندلس وأعظمهم شأنا على مدى يزيد على قرنين من الزمان، ولقد ظهر تأثيره فيما بعد على العمارة الاسلامية بصورة واضحة في مساجد بلاد المغرب وإفريقية ومصر، في عهد المماليك، كما بقي المسجد كما هو ومثالا على القدرة الفنية والمعمارية، إذ نجده قد جمع بين الأعمدة والأقواس الرومانية وبين تيجان الأعمدة الكورنثية والأعمدة القوطية الغربية و الفسيفساء البيزنطية، مما جعله عملا فنيا لا ترقى على مصافه سوى أعمال فنية محدودة، مما يبدوا أن هناك تمازجا فنيا مختلفا مكونا من عدة فنون كالفن القوطي والفن القوطي الغربي والفن البيزنطي وعلى رأسهم السمات المعمارية الفنية العربية الاسلامية (المشرقية والمغربية) وهذا ما جعله من روائع الأعمال العمرانية والأندلسية.

الخاتمة

تناول هذا البحث بالدارسة والتحليل مرحلة مهمة من مراحل التاريخ الأندلسي عرفت بالعمارة الإسلامية خلال عهد بني أمية وعلى إثر هذا توصلنا إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات وهي:

-أن المنشآت العمرانية خلال عهد بني أمية بالأندلس كانت شكلا من أشكال الواجهات الحضارية، لأنها تعطي وبشكل عام أكثر من دلالة على حيوية أهلها ورخائهم الاقتصادي.

-امتازت أبنية الأندلس بالبساطة والجمال فجامع قرطبة الذي أنشأه عبد الرحمن الداخل عندما أقيم كان الفن الإسلامي في فجره ثم تدرج هذا الفن حتى وصل إلى الكمال، كما يعتبر هذا الجامع الذي شيد في القرن الثامن الميلادي من الدور الأول لفن العمارة الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية.

-كما أن الأثر الذي تركه فن العمارة الإسلامية من خلال الصومعة والتحديث الذي احيطت به من قبل عبد الرحمن الناصر انعكس في اتخاذها نموذجا للمأذن الأندلسية.

-كما أن نشاط أمراء وخلفاء بني أمية بالأندلس في المجال العمراني هيأ أن تبقى شامخة وراسخة وهذا ما تجسد من خلال الآثار العمرانية بالأندلس وعلى رأسها المسجد الجامع بقرطبة الذي أكد لنا أن الخلفاء الأمويون أرادوا من وراء ذلك تمجيد عصورهم في البناء وتعبيرا عن رفاهية العيش والازدهار الاقتصادي لتلك الحقبة، كما أن مشاركة الأمراء والخلفاء الأمويون في بناء المسجد الجامع ترك بصمة كل خليفة واضحة على ذلك المسجد.

-وقد تأثر أهل المشرق والمغرب وحتى الأوروبيين بالفن المعماري لجامع قرطبة، مقتبسين منه العناصر المعمارية من محرابه ذا الشكل المثمن المنتظم وهو الوحيد في العمارة الأندلسية بهذا التخطيط والذي أنجز في محاريب مساجد قرطبة وطليطلة كلها، ومن قبته ومنبره وزخارفه الهندسية والنباتية وقد ساد استعمال المآذن المربعة في أغلب مساجد الأندلس و جوامعها ولاسيما في عهد عبد الرحمن الأوسط.

-كما بلغت القوة والروعة في الأبنية في عهد الخلافة الأموية ذلك لقوة عهدهم واستقرارهم وطول مدة حكمهم، فقد امتازت الزخارف بالزخرفة النباتية الكثيفة في قصر الزهراء بقرطبة وقصر سرقسطة، مبتعدين بعض الشيء عن الزخارف الحيوانية إلا في عدة مواضع.

-وقد شهدت مدينة قرطبة العاصمة الأندلسية وبالأخص خلال الحكم الأموي بالأندلس نشاطا عمرانيا قويا في مختلف أبنيتها لأنها كانت العاصمة ومستقر الحكام، ومن الطبيعي أن يولوا اهتمامهم ورعايتهم لها، فحظيت هذه المدينة بأكبر عدد من القصور والأرباض والقناطر والجسور.... وبلغت فيها الحركة العمرانية أوجها في عهد الخليفة الناصر وابنه المستنصر فأصبحت تضاهي مدن الشرق في جمالها وروعة ابنيتها.

-تأثر الفن القرطبي كثيرا بالفن الدمشقي كمأذنة قرطبة المقتبسة من مئذنة المسجد الجامع بدمشق فضلا عن منية الرصافة التي بنيت مشابهة للمنية الموجودة في الرقة، حتى قصور الخلافة بقرطبة مشابهة للأبنية الدمشقية مقتبسين حتى الأسماء منها كقصر دمشق.

اعتاد الأندلسيون على زراعة أشجار الليمون والنارنج في أبنيتهم كالمسجد الجامع بقرطبة ومسجد إشبيلية.

-كما شهد عصر الإمارة والخلافة الأموية نشاطا عمرانيا شمل جميع الأبنية من دينية ومدنية وعسكرية.

-وشاع استعمال القباب والعقود بأنواعها في الأبنية كالمساجد والدور والقصور والحمامات.

-تميل العمارة الدينية والمدنية إلى مظاهر الفخامة والمتانة والجمال كالمسجد الجامع في قرطبة وجامع غرناطة، والقصور القرطبية، أما العمارة العسكرية فقد امتازت بالمتانة والقوة كأسوار إشبيلية وقرطبة.

-لقد كانت مدينة قرطبة قبل دخول العرب إليها ذات فن معماري متطبع بالطابع الروماني فأصبح الفن القرطبي مزيجا من الفن الروماني القرطبي والفن العربي الإسلامي.

–لقد تكون فن العمران في الأندلس، مما حمله العرب معهم من مزيج الفن البزنطي والقرطبي والفارسي، ومن ثم ظهر الطراز المدجن ومن أبرز سماته الفنية التي اقتبسوها عن العرب هو الطراز الزخرفي المثقل بالزخارف.

الملاحق

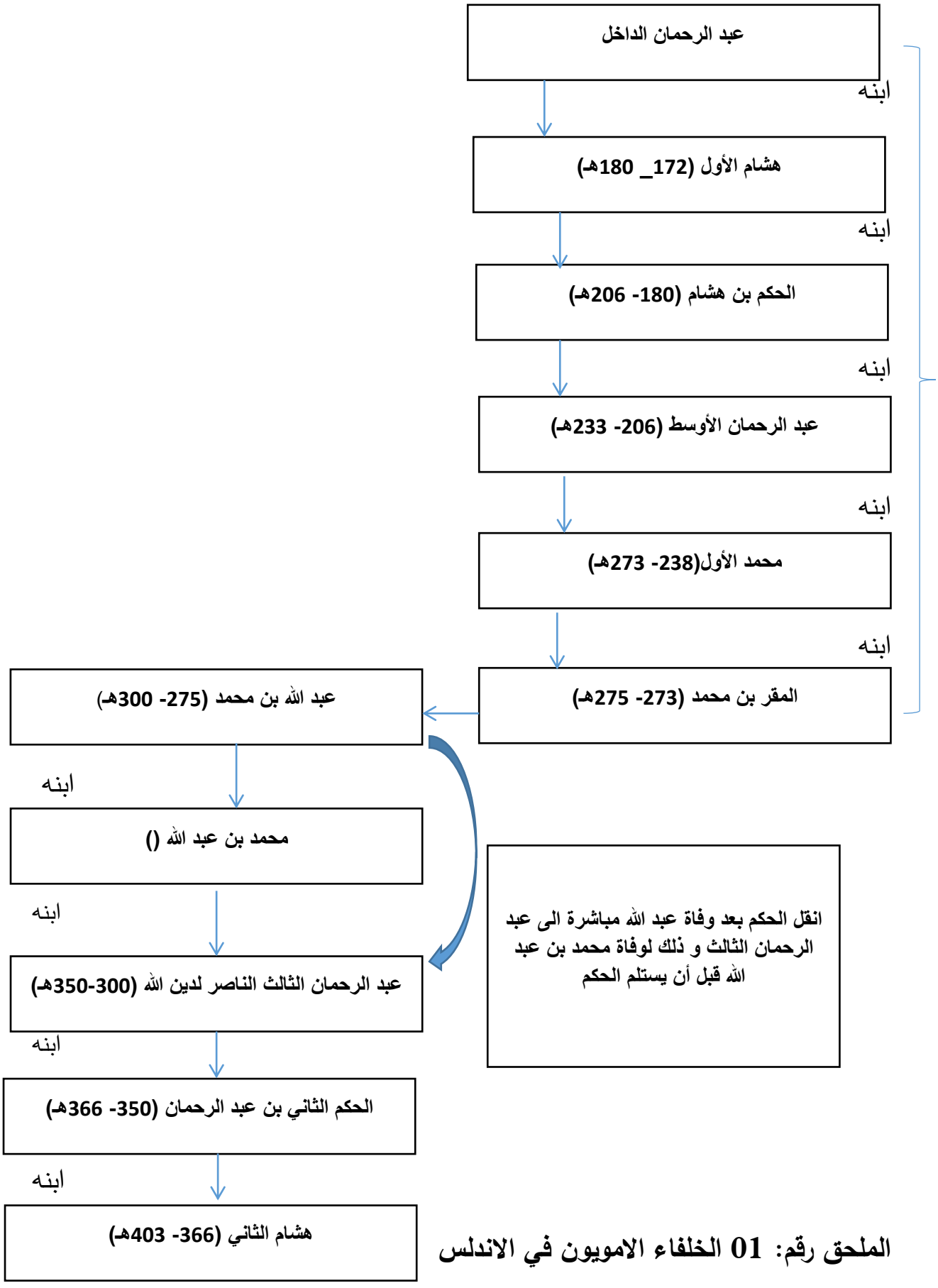

الملحق رقم: 01 الخلفاء الامويون في الاندلس

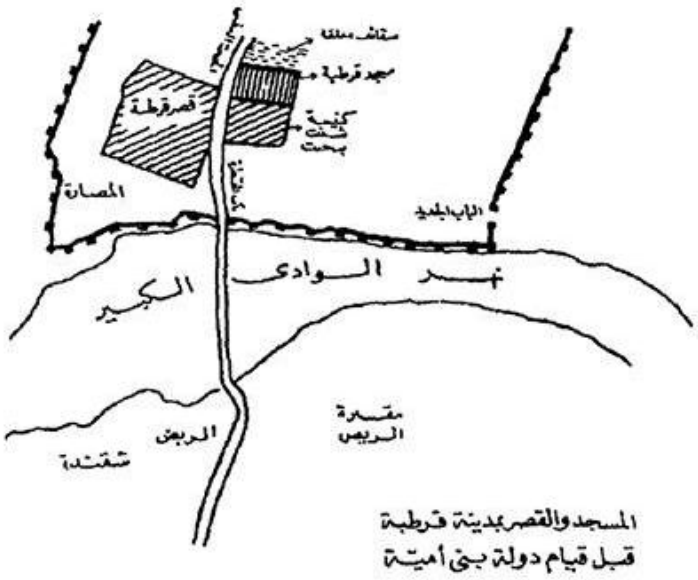

المسجد والقصر بمدينة قرطبة
قبل قيام دولة بني أمية

الملحق رقم: 02 مخطط المسجد والقصر بمدينة قرطبة

المرجع: السيد عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق

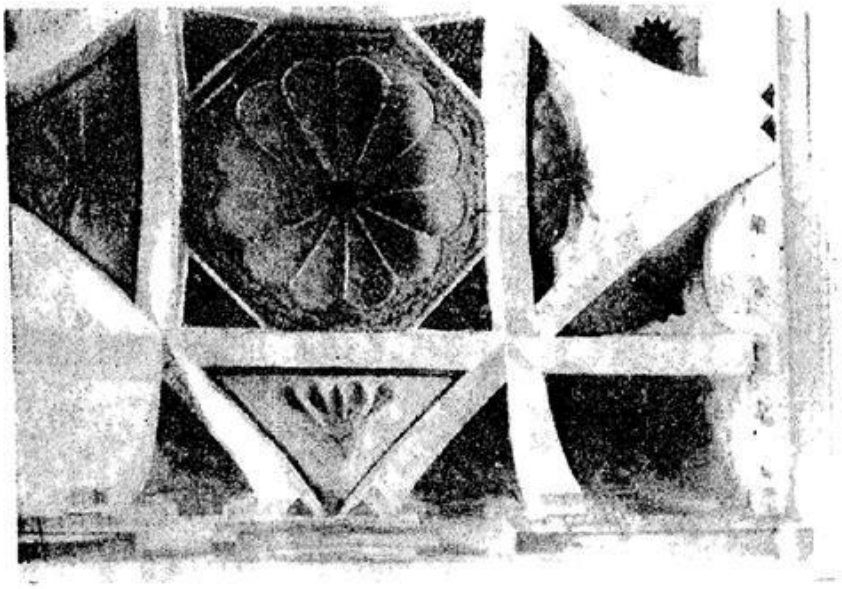

جانب من قبة الضوء بأعلى أسطوان المدخل إلى زيادة الحكم المستنصر

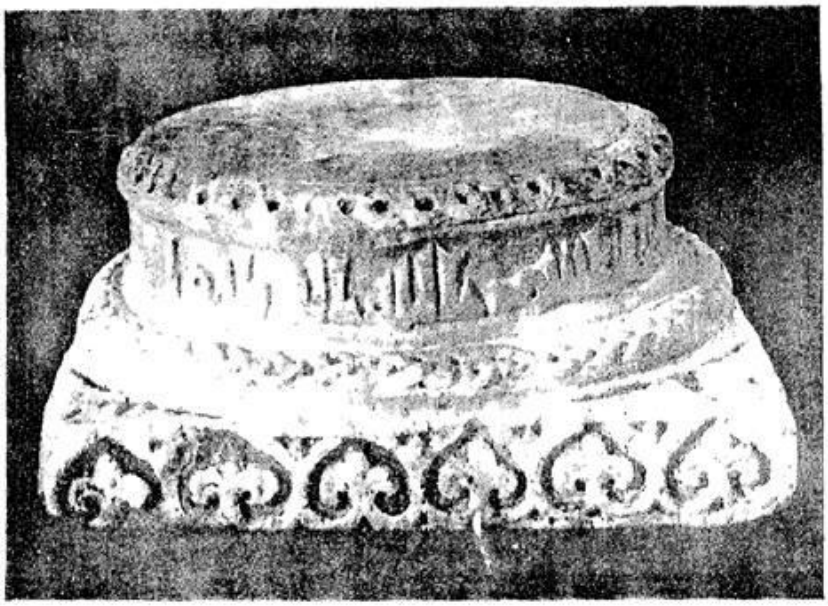

قاعدة عمود من مدينة الزهراء وعليها نقش كتابي بالخط الكوفي نصه (بسم الله الرحمن الرحيم)

الملحق رقم: 03 آثار من مدينة قرطبة

المرجع: السيد عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق

باب المدور من أبواب مدينة قرطبة

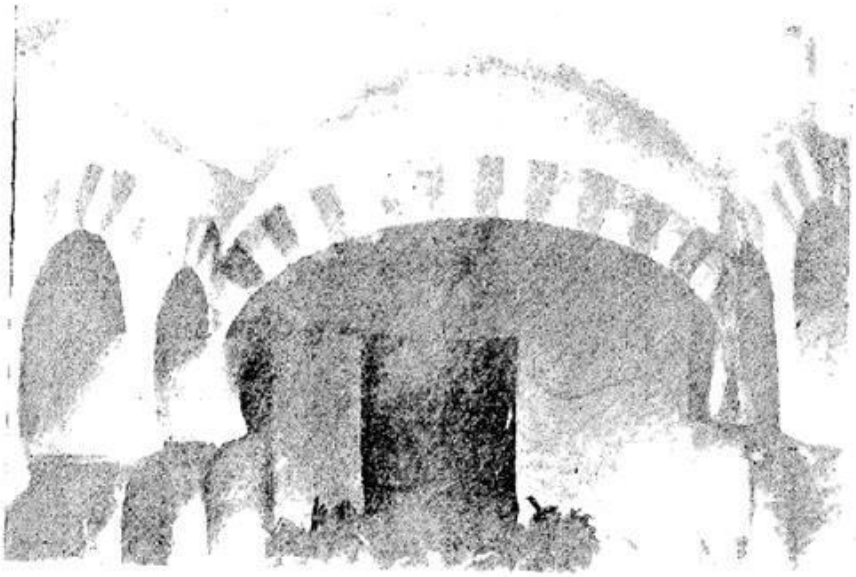

قاعة بداخل حمام من عصر الخلافة بمدينة قرطبة

الملحق رقم: 04

المرجع: السيد عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق

مئذنة المسجد الجامع باشبيلية
(مسجد عمر بن عديس)
وترى العقود المحيطة بصحن البرتقال

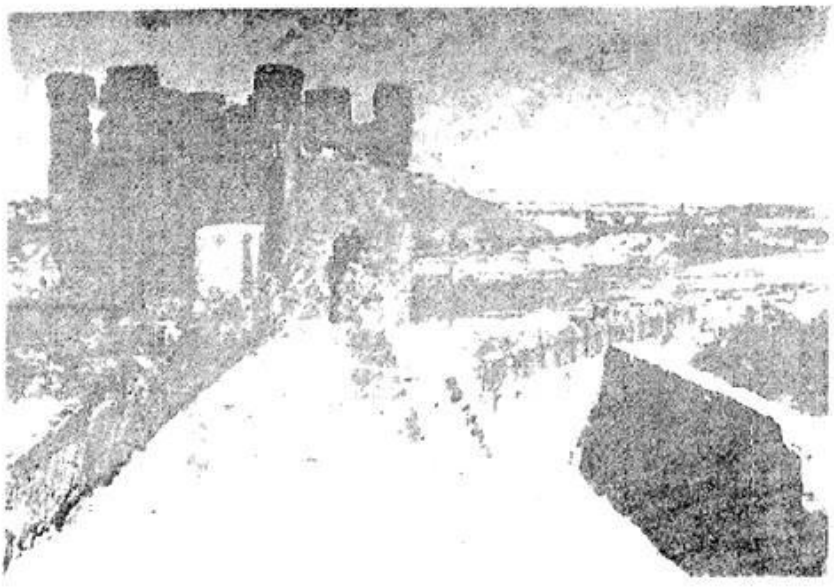

الملحق رقم: 05

المرجع: السيد عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق

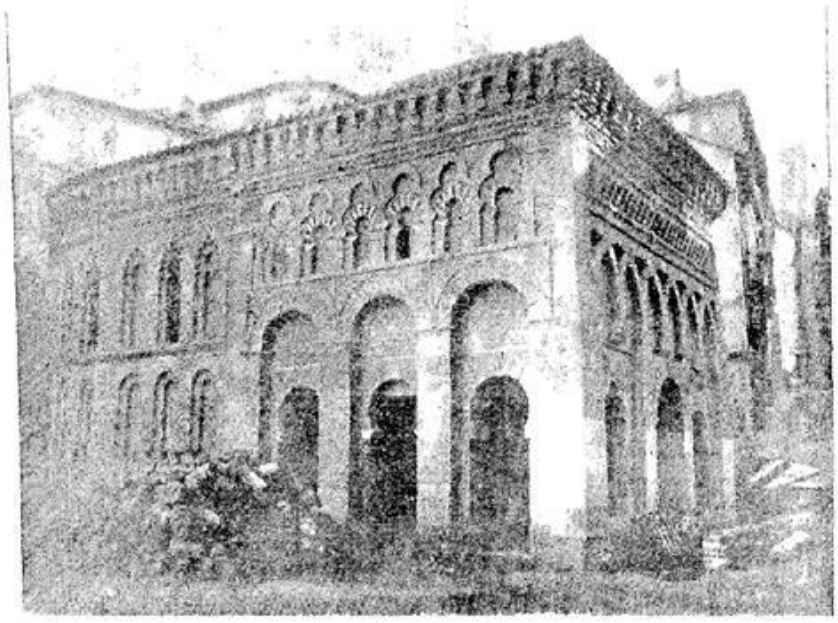

مسجد باب مردوم بطليطلة

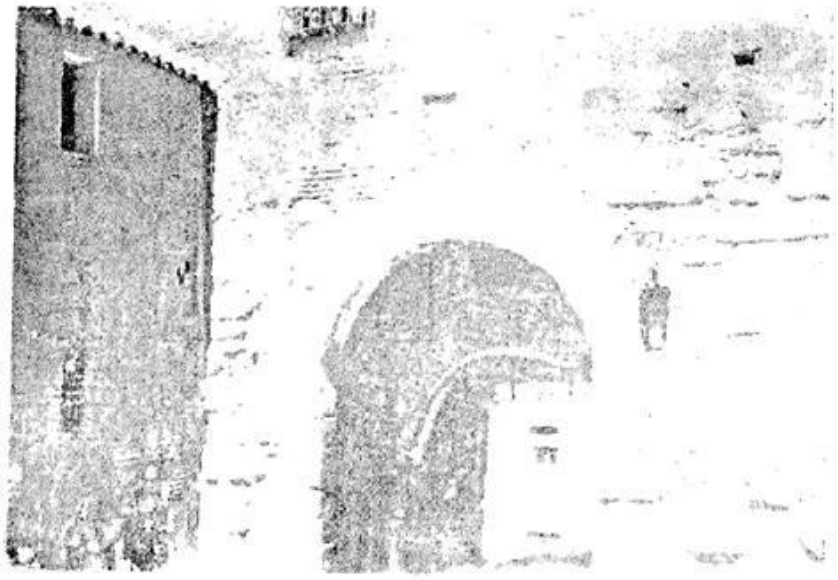

الملحق رقم: 06

المرجع: السيد عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق.

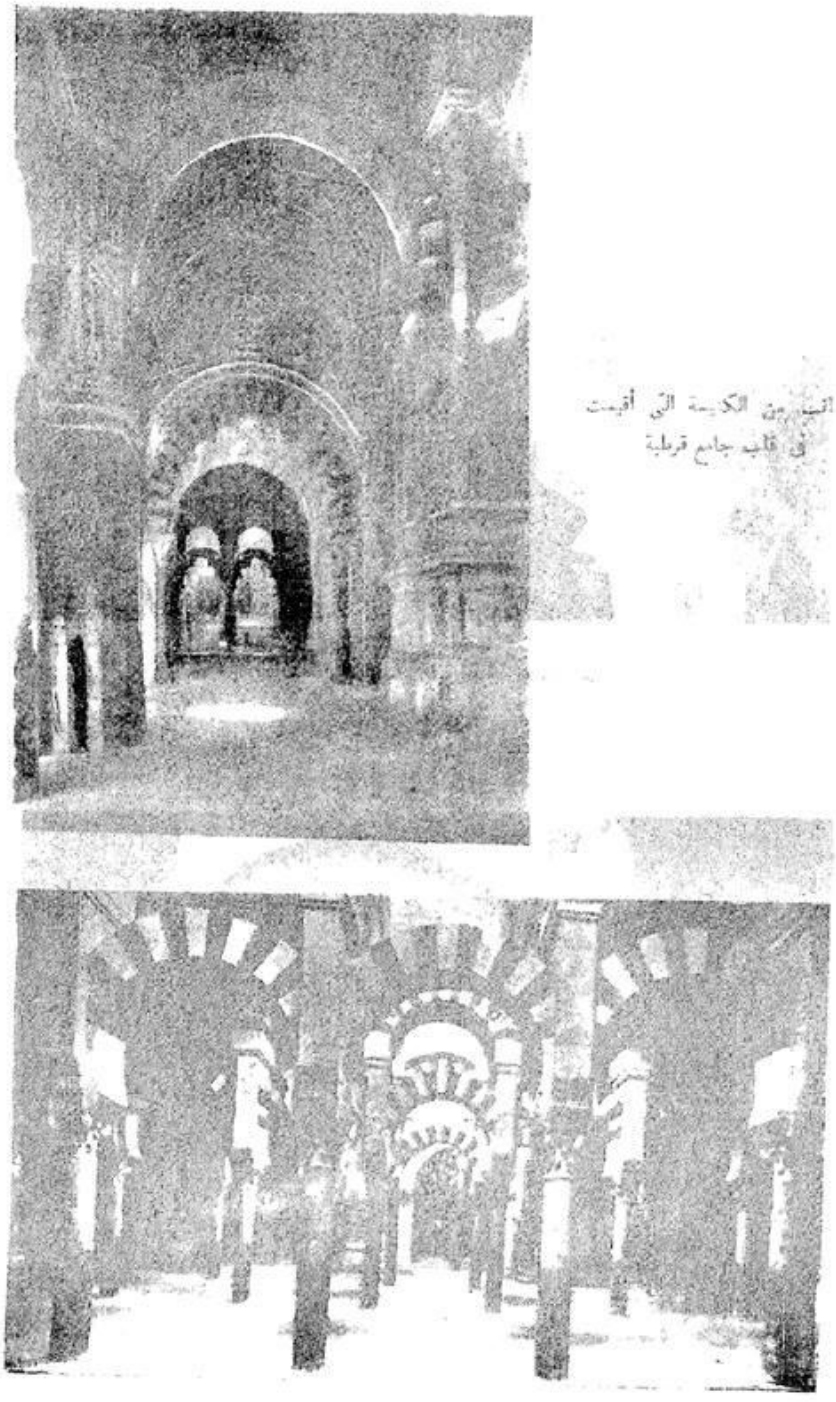

الملحق رقم: 07

المرجع: السيد عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق.

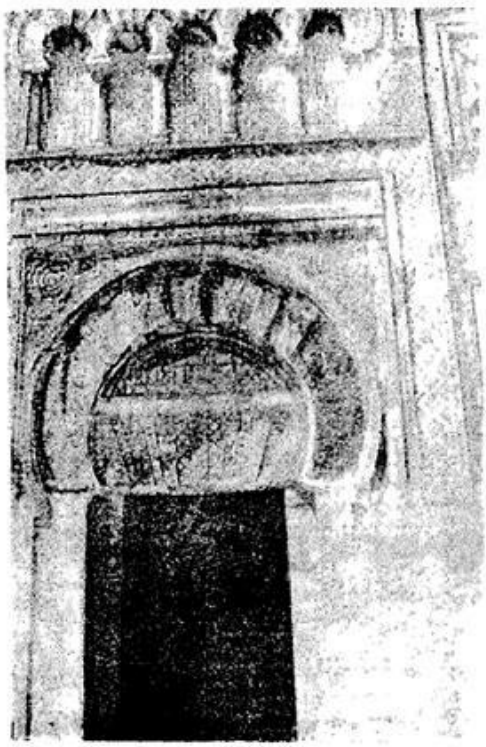

باب بالجدار الشرقي لجامع قرطبة

الجدار الشرقي لجامع قرطبة

الملحق رقم: 08

المرجع: السيد عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق.

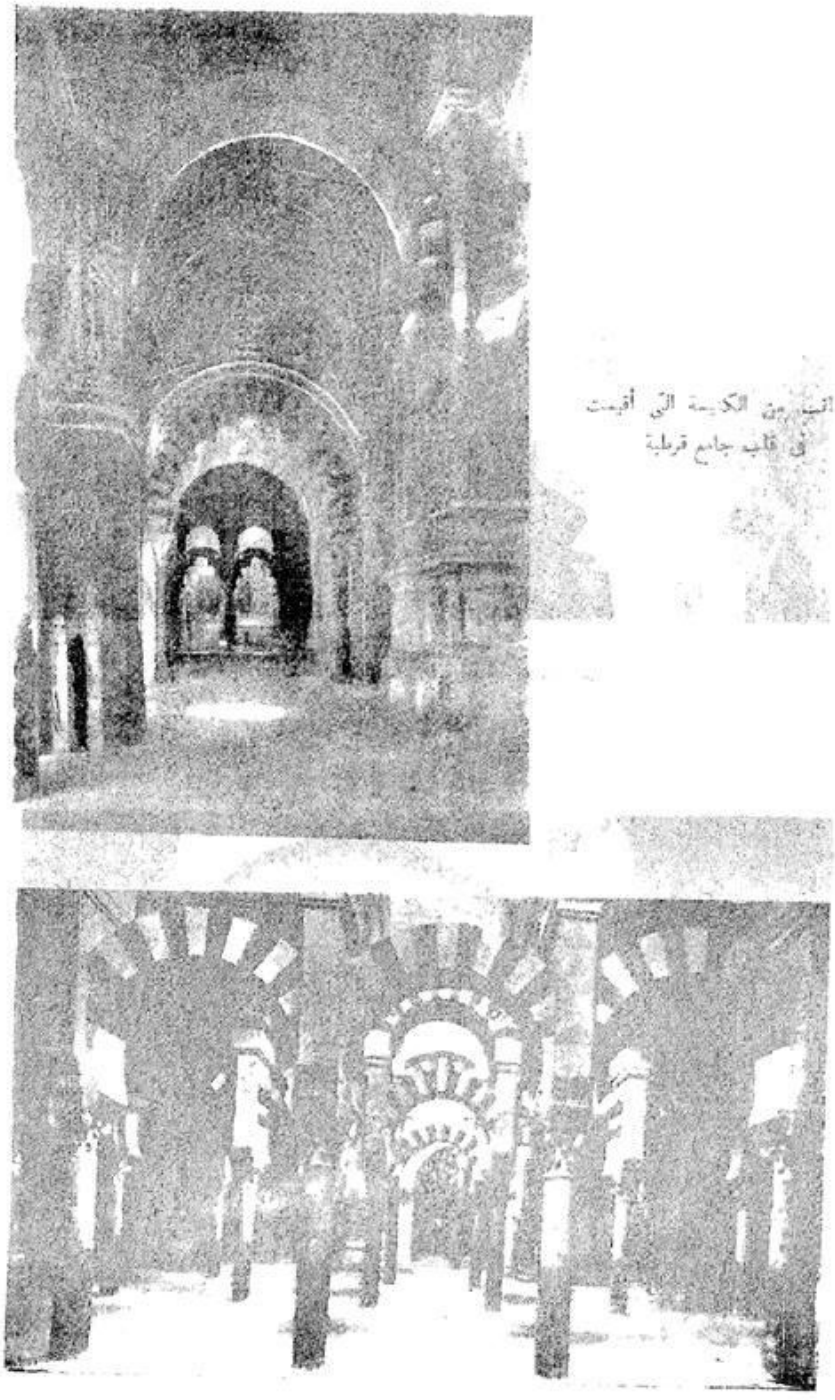

الملحق رقم: 09

المرجع: السيد عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق

تشابك العقود تحت قبة المحراب بجامع قرطبة

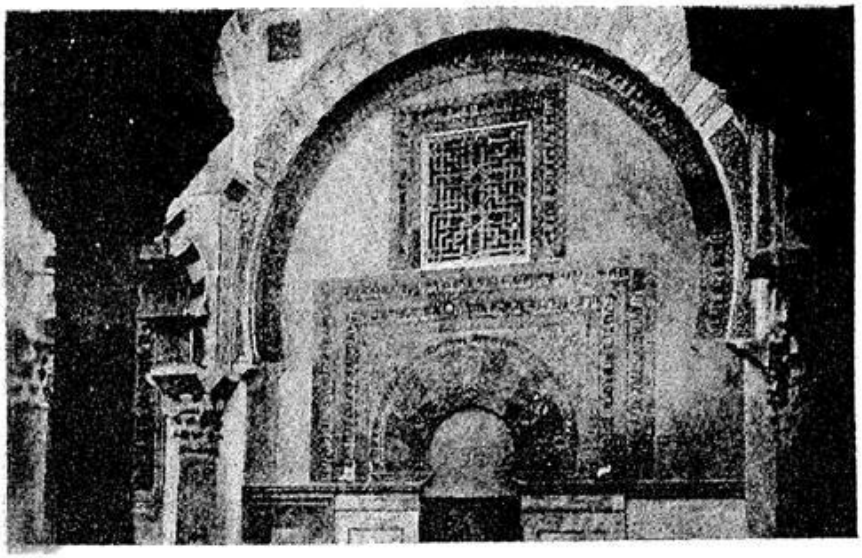

المشربية بالمسجد الجامع قرطبة

الملحق رقم: 10

المرجع: السيد عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة بالأندلس، مرجع سابق

قائمة المصادر والمراجع

I. المصادر

القرآن الكريم

أولا: المصادر العربية:

1- ابن الخطيب: (لسان الدين أبو عبد الله محمد)، **أعمال الأعلام**، تحقيق ليني بروفنسال، بيروت 1956.

2- ابن القوطية: (ابو بكر محمد القرطبي): **تاريخ افتتاح الأندلس**، نشره جون جليان ريبيرا بعنوان Historia de la conquista de espana مدريد 1926م.

3- ابن بسام: (ابو الحسن علي الشنتريني)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، القسم الأول من المجلد، القاهرة 1939م، والقسم الأول من المجلد الثاني القاهرة 1942م، القسم الرابع من المجلد الأول القاهرة 1945م.

4- ابن بشكوال: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك): **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، نشره فرانشيسكو كوديرة، في جزئين، مدريد 1883م، وطبعة القاهرة 1966م (مجموعة تراثنا).

5- -ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، تحقيق: ويليام راين، مراجعة دي خوية، لندن، 1907م

6- ابن حزم: (أبو محمد بن أحمد بن سعيد)، **جمهرة أنساب العرب**، نشره الأستاذ لفي بروفنسال، القاهرة 1948م، وطبعة 1962م.

7- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد): كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، طبعة بيروت،1971م.

8- ابن سيده: (أبو الحسن اسماعيل): **المخصص**، المكتب التجاري بيروت.

9- ابن عذاري: (ابو عبد الله محمد المراكشي): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، نشره الأستاذان ليفي بروقسال وكولان ليدن 1948م-1951م، وطبعة بيروت عن دوري، بيروت 1950م في جزئين -والجزء الثالث-نشره ليفي بروفنسال، باريس 1930م.

10-ابن غالب: (محمد أيوب الأندلسي): **فرحة الأنفس بعد الأربعمائة**، نشرها الدكتور أحمد لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1956م.

11-ابن منظور: جمال الدين محمد: **لسان العرب**، طبعة دار صادر، بيروت 1955م.

12-الإدريسي: (الشريف محمد بن عبد العزيز)، **صفة المغرب والأندلس** من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشره دوزي ودي غوية ليدن 1766م، ووصف المسجد الجامع بقرطبة من كتاب نزهة المشتاق، نشره ألفريد ديسيه لامار مع الترجمة الفرنسية، الجزائر 1949.

13-الحميري: (أبو عبد الله بن محمد بن عبد المنعم)، **صفة جزيرة الأندلس**، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشره ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937م.

14-الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق، نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة، بيروت 1413هـ.

15-الزبيدي: (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الطيسي)**: تاج العروس في جواهر القاموس**، تحقيق: على الهلالي، الكويت 1966م.

16-الطبري: (محمد بن جرير): **تاريخ الأمم والملوك**، طبعة مصر 1399.

17-العذري: (أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي): كتاب **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار**، والبستات في غرائب البلدان، والمسالك إلى الممالك، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965م.

18-الفراهيدي: (الخليل بن أحمد): **العين**، دار صادر، بيروت.

19-الفيروزأبادي: (محمد الدين بن يعقوب): **القاموس المحيط**، ترجمة محمد بن محمد التركزي.

20-البكري: (ابو عبيد الله بن عبد العزيز)، **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجي، بيروت 1968م.

21- مجهول: **أخبار مجموعة في تاريخ الأندلس**، نشره دون لافونتي الكنترا، في مجموعة "obrasarabigas"، مدريد 1827م.

22-المقري: (أحمد بن محمد): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق الأستاذان: محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1949م.

23-ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله): **معجم البلدان**، طبعة بيروت، 1957م.

24-ابن محمد ابن ايوب الأندلس **(ابن غالب) قطعة من كتاب فزحة الأنفس بعد الأربعمئة**، نشرها الدكتور أحمد لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة.

25-ابن الفرضي: ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي، **تاريخ العلم والعلماء بالأندلس (ت1403)**، نشر: عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي القاهرة، 1954.

26- ابن حيان مروان حيان بن خلق بن حسين، **المقتبس من ابناء أهل الأندلس**، تحقيق الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1995.

27-أبو بكر محمد القرطبي (ابن القوطية)، **تاريخ افتتاح الأندلس**، نشره دون جوليان، مدريد 1926.

28--ابو عبيد الله محمد بن عبد المنعم، **صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)**، نشره ليفي بروفسان، القاهرة 1937.

29-أحمد ابو الفضل، تاريخ مدينة ألمرية الاسلامية في العصر الاسلامي، مطبعة جامعة طنطا، 1986.

30-أحمد ين محمد (المقري)، **نفح الطيب بن غصن الأندلس الرطيب**، تح، محي الدين عبد الحميد، ج1، القاهرة 1949.

II. *المراجع*

المراجع العربية

1--السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)**، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، د.س.ن

2--السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، العصر الاسلامي الاسكندرية 1966.

3-بن حمد، **تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري**، عصر الخلافة، دمشق، 1974

4- جاسيليون بابون مالدونادو، **عمارة المساجد في الأندلس (قرطبة ومساجدها)**، تر: علي ابراهيم منوفي، ط1، كلمة للنشر ابو ظبي، 2011.

5-حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والاندلس**، ط5، دار الرشاد، القاهرة، 2000.

6- السيد عبد العزيز سالم، **المساجد والقصور بغرناطة**، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1987.

7-السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ بطليوس الاسلامية وغرب الاندلس في العصر الاسلامي**، مطلعة الانتصار الاسكندرية، 1979.

8-علي بن موسى ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلي المغرب**، تح، شوقي ضيف، القاهرة 1958،

9-عمر فروخ، **العرب والإسلام في الحوض العربي من البحر المتوسط وفتح الأندلس على آخر عصر الولاة**، ط1، منشورات الكتب التجاري، بيروت، 1959.

10- مجهول، **أخبار مجموعة في أخبار الأندلس**، نشره دون الفونني القنطرة،في مجموعة اوراليس ارابيقاس مدريد 1867،.

11- محمد ايوب الغرناطي: **ابن غالب نص جديد من كتاب حركة الأنفس**، تح: لطفي عبد البديع، مصر 1956.

12- محمود على مكي، **التشييع في الأندلس**، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية المجلد الثاني في 1954.

III. *المقالات* والمجلات

13- السيد عبد العزيز سالم، **مقال العمارة الاسلامية في الأندلس**، مجلة عالم الفكر مجلة دورية تصدر 3 أشهر عن وزارة الاعلام ، الكويت مجلد8 ، العدد 1 ابريل، ماي، مايو، يونيو، 1977.

IV. الرسائل *الجامعية*:

14- رغد جمال مناف العزاوي، **العمارة الأندلسية من القرن 2هـ الى 5هـ**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة بغداد، 2013.

V. ***المراجع*** **الأجنبية**

46_compas ycazorla,**arquitecturacalifal.y.mozarabe,cartile-lasdiela aquitecura**,espangnola,iv, macbid 1929

47_Lorresbelbes: **exetencion ydermografia de les crudades nispano musulmanas**, studia islanica, uol 3,1955.

48_leir provençal,**histoure de l'es pagne mes ilmane 3tomice lideme**, 1950,1954

49_ocana jenenez, **la inscripcion funacional de la mezquita de idn alabbas en seuilla**, al andalus, vol xii, fasc, i, 1947

50_Campis y Cazarola ; **Hodulo, proporcioncs y composicion ; en**

51_la arquitura califal ole cordaba, Madrid, 1953,

فهرس المواضيع

العنـــــــــــــــــوان	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ- ز
فصل تمهيدي	
التعريف بمصطلح الأندلس	**08**
لمحة تاريخية وجغرافية لمدينة قرطبة	**09**
الفصل الأول أطوار الحكم الأموي في الأندلس	
المبحث الأول: تاريخ قرطبة قبل قيام دولة بني أمية	**12**
المبحث الثاني: الامارة القرطبية	**20**
المبحث الثالث: الخلافة القرطبية	**37**
خلاصة الفصل الأول	**44**
الفصل الثاني: العمارة الاسلامية بالأندلس خلال العهد الأموي	
المبحث الأول: العمارة المدنية	**46**
المبحث الثاني العمارة الدينية	**58**
المبحث الثالث: العمارة الحربية	**66**
خلاصة الفصل الثاني	**72**
الفصل الثالث مسجد قرطبة أنموذجا للعمارة الاسلامية بالأندلس	
المبحث الأول: تأسيس المسجد الجامع وبناؤه	**74**
المبحث الثاني: سمات المسجد الجامع المعمارية والزخرفية	**77**
المبحث الثالث: توسيعات المسجد خلال حكم بني أمية	**91**
المبحث الرابع: أثر المسجد الجامع في النظام التخطيطي للمساجد الجامعة في الأندلس	**94**
خلاصة الفصل الثالث	**96**
الخاتمة	**103**
قائمة الملاحق	**107**
قائمة المصادر والمراجع	**121**